الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر
رمز المذكرة: 24/017 ن

الموضوع:

صورة المقاومة في الرواية الفلسطينية
(رجال في الشمس) لغسان كنفاني

إعداد الطالبة:
عبابو مليكة

إشراف:
أ.د لاطرش عبد الله

لجنة المناقشة		
أ.الدكتورة	عمارة حياة	رئيسا
أ.الدكتور	قدوسي نور الدين	ممتحنا
أ.الدكتور	لاطرش عبد الله	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 2018-2017/1440-1439

شكر و عرفان

لله الفضل من قبل و من بعد، فالحمد لله الذي منحني القدرة على انجاز هذا العمل المتواضع وبعد.

عرفانا بالجميل وبخالص مشاعر الاحترام و التقدير والامتنان، أتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ الدكتور (عبد الله لاطرش) على توجيهاته السديدة ونصائحه القيمة.

كما أتقدم بعظيم الشكر إلى السادة الأساتذة الأفاضل المناقشين على عناء قراءة هذا العمل وتصويبه.

إهـــداء

إلى عائلتي التي علمتني

إلى أساتذتي الذين درّسوني

إلى زملائي الذين يعملون معي

إلى هؤلاء أهدي هذا العمل

المتواضع راجية من الله أن ينال

النجاح و الظفر و القبول.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله حمداً مباركاً كبيراً عدد ما حمده الحامدون، واستغفره المذنبون، وأناب إليه التائبون، عدد ما في ملكه وعلمه، وعدد أوراق الشّجر والثّمر، وصلاةً وسلاماً على آخر النّبيّين الأئمّيين على سراج الهدى سيّد الأنام محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المقاومة الفلسطينية هي مقاومة يواجه بها شعب فلسطين الاحتلال الصهيوني،وكان لقوى النضال الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني،وحتى الاحتلال الاستطاني الصهيوني دور كبيرفي المقاومة،حيث مارس مقاومته للسياسات الاستعمارية بأشكال وأنواع متعددة،أخذت تتبلور في المجتمع الفلسطيني عامة في فترة وجودها.

فقد ابتدئ الشعب الفلسطيني مقاومته للاحتلال البريطاني بالثورات والمظاهرات السلمية والتي كانت عنيفة نوعاما،حيث كانت تطالب بالاستقلال وانهاء الانتداب تارة والمطالبة بوقف الهجرة الصهيونية تارة أخرى ،حيث مثلت هذه الثورات والمظاهرات بداية النضال الفلسطيني من أجل الاستقلال ،وان كانت تبدأ بنزاع مابين العرب واليهود،لكنها سرعان ماكانت تتقلب على هيئة ثورات للمطالبة بالاستقلال،والتي شكلت نقطة فاصلة في تاريخ النضال الفلسطيني،حيث أدت هذه الثورة الى تغيرالفكر النضالي الفلسطيني من الوسائل المسلحة بدلا من الوسائل السلمية المتمثلة في المظاهرات والثورات والندوات والمؤتمرات الاسلامية والمسيحية في فلسطين.

تعد الاهتمامات الوطنية والسياسية والتعلق بحب الوطن وأهمية تحريره من أيدي الاحتلال الغاشمة قضيّة شاملة تخص جميع الأفراد والمجتمعات، وكان من بين الكُتّاب الذين اتّخذ قلمه سلاحاً يحارب كافّة أنواع الظلم والاحتلال الصهيوني، الكاتب غسّان كنفاني، فغسّان لم يكن كاتباً فقط، بل كان مناضلاً ثوريّا.

انتهت حياته بالاستشهاد، ويصعب بطبيعة الحال أن نتعامل مع مجموع كتاباته التي جاءت مرتبطةً ارتباطاً عضويّاً بتاريخ فلسطين المعاصر، وبالقضيّة التي أعطى لها عمره وبالموضوعيّة الهادئة.

إن احترامنا للرجل يجعل من الضروري أن نعطي أعماله حقّها كإنجازات فنّية في هذا المجال ككاتب مبدع، وعلينا أن نعترف أن أعمال غسّان كنفاني لم تكن مقصورة على التحليل الهادئ، فأسهم في تشكيله عاملان اثنان، أولهما حياة الرجل واستشهاده، فإن الهموم الحياتية لغسّان، والتي عبر عنها في كتاباته تظلّ تلك الهموم التي يحملها أبناء جيله.

وثانيهما قناعتنا بالدور الريادي الذي قام به في كتابة القصة القصيرة والرواية الفلسطينية، وذلك من وجهة نظر أكثر تقدّماً ومستوى فنّي أرقى من كل ما كان مطروحاً في الساحة الثقافية الفلسطينية.ولهذا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ (صورة المقاومة الفلسطينية، رجال في الشمس لغسان كنفاني) فيعود سبب اختيارنا إلى مدى تطور الرواية العربية الحديثة وبالأخص الفلسطينية التي قضيتها تصنع الاحداث يوميا على كل المستويات لتجيب عن إشكالية فحواها:

هل أراد غسّان كنفاني أن يبيّن مدى المعاناة الفلسطينيّة في أرض الشّتات، باعتبار أن الشمس محرقة قاتلة، والوصول إليها فيه الموت المحتّم؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدت خطّة تضمنت الآتي مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، فالمدخل جاء معنوناً بأدب المقاومة، وما ميّز الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة وظروفه القاسية بالغة الشراسة.

والفصل الأول كان الولوج فيه عبر مسيرة ومحطات المقاومة الفلسطينية، وذلك انطلاقاً بضبط مصطلح المقاومة وتعريفه، ثم تركّز الحديث عن نشأة المقاومة الفلسطينية وتطورها ابتداءاً من المرحلة الأولى في العشرينيات وصولاً إلى المرحلة الخامسة والممتدة ما بين عامي 1967 – 1987. والمبحث الثالث فتمثل في أهمّ مظاهر هذه المقاومة.

وأما الفصل الثاني فكان بعنوان (غسان كنفاني وروايته) من خلال البحث عن حياة غسان كنفاني المناضل الثوريّ إلى تعليمه وآثاره، وبعدها كان التوجه في المبحث الثاني إلى تقييم ودراسة رواية (رجال في الشمس) مبرزة دافع كتابة هذه الرواية، ثم رصد أهمّ شخصيات الرواية الرئيسية والثانوية، محاولة تبيين دلالتها وآفاقها، وتقصي جمالياتها وصولاً عند أفعالها المتباينة، ثمّ تقديم ملخص عام للرواية.

أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة تحليلية تم التطرق فيه إلى الاتجاه الرمزي في الرواية، ثم بنية المكان والحدث في الرواية من خلال التعريف بالمكان وأهميته، ورصد لأهم الأماكن في الرواية، ثمّ الولوج للحدث من خلال التعريف به وعرض لأحداث الرواية وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى.أما العنصر الأخير فتناولت فيه نقد الرواية، وختمت هذه الدراسة بخاتمة جمعت فيها أهمّ النتائج المتوصّل إليها.

ومحاولة منا خوض هذا العالم الإبداعي، اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي للبحث عن طبيعة وسيرة المقاومة الفلسطينية عند غسان كنفاني، وعن أسرار خطابه الروائيّ، وكان هدفي في هذه الدراسة تقديم وتحليل لرواية غسان كنفاني (رجال في الشمس)، أو ما يسمى بالرحلة الفلسطينية.

وكان زادي في هذا البحث مجموعة من المصادر المعتمدة منها (الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968. و(أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948- 1966) لغسان كنفاني.

ومن المراجع العربية النقدية كتاب (الطريق إلى الخيمة الأخرى) لرضوى عاشور. وكتاب (فلسطين تاريخاً ونضالاً) لنجيب الأحمد.

وفي الأخيرأتقدم بعميق شكري وامتناني للأستاذ الفاضل الدكتور (عبد الله لاطرش) بطرحه لهذا العنوان القيّم واهتمامه الدائم بالقضية الفلسطينية، وأرفع له آيات التقدير وجميل العرفان. والله نسأل التوفيق والرضا والسّداد في الخطى والتنوير في الدجى، إنه وليّ ذلك والقادر عليه وحده.

مدخل: أدب المقاومة

مدخل : أدب المقاومة

"الحرب الفلسطينية الإسرائيلية سنة 1948 هي في نظر الصهاينة (حرب الاستقلال) بينما بالنسبة للفلسطينيين ستظل إلى الأبد (النكبة)، فبالإضافة إلى نشوء دولة إسرائيل، أدت الحرب إلى واحد من أكبر التهجيرات القسرية في التاريخ الحديث، إذ طرد نحو مليون نسمة من بيوتهم بقوة السلاح، وارتكبت مجازر بحق المدنيين، ودُمرت مئات من ا لقرى الفلسطينية عمدا، ومع أن الحقيقة بشأن الطرد الجماعي الهائل شُوهت وجرى طمسها بصورة همجية، فإنه لو كان حدث في القرن الحادي والعشرين لكان سُمي (تطهيرا عرقيا)"[1].

"الأكاديمي البارز (إيلان بابه Ilane Pappe) يدعو إلى اعتراف دولي بهذه المأساة، ويلقي عمله الرائد والمثير للجدل ضوءا جديدا على أصول الصراع الفلسطيني الصهيوني وتطوراته، ويطرح تساؤلات فشل العالم حتى الآن في طرحها من أجل القصة الحقيقية وراء أحداث 1948.

وتبرهن رواية (بابه) المفهمة بالحيوية والآنية في الوقت المناسب والمستندة إلى بحث علمي دقيق اشتمل على تحقيق موارد أرشيفية أفرج عنها مؤخرا بصورة لا تقبل الجدل أن (الترانسفير) تعبير ملطف عن (التطهير العرقي).

"كان منذ البداية جزء لا يتجزأ من استراتيجية رُسمت بدقة وعناية، ويكمن في أساس الصراع المستمر إلى الآن في الشرق الأوسط"[2].

وبصدد الحديث عن أدب المقاومة لا يفوتنا إدراج قول (بطرس بطرس غالي): "فالعرب لم يعتبروا الفلسطينيين أبدا كلاجئين، ولكن كمواطني دولة فلسطينية يستعمرها الصهاينة"[3].

---

[1]_[2] عدنان علي رضا النحوي، على أبواب القدس، منشورات وزارة الثقافة العربية، القدس، (د.ط)، 2009م، ص15.

[3]_ بطرس بطرس غالي وسيمون برير ،حوارات مع أندريه فيرساي،ستون عاما من الصراع في الشرق الأوسط شهادات للتاريخ،دار الشروق،ط 1،2007، ص125-127

يضيف: "المجتمع الدولي يتحدث عن الصراع الإسرائيلي العربي، ولكن العالم العربي يستخدم أيضا كلمة الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، فهناك بالتأكيد فجوة زمنية بين خطاب المجتمع الدولي الذي يتحدث عن حق (اللاجئين) والخطاب العربي الذي يتحدث عن (حقوق قومية)"[1]

"كارثة فلسطين من أعمق الكوارث أثرا في نفوس المسلمين الصادقين، وجميع الكوارث التي حلت بالمسلمين عدل من الله تخفى على البسطاء أسراره، وتطهر للمتوسمين أسبابه إلا قضية فلسطين، فإن وجه العدل الإلهي فيها واضح مسفر، ذلك أن العرب ومن ورائهم المسلمون لم يؤخذ وفيها على غرة، ل كانوا يحيطون علما بنيات اليهود ومطامعهم في إقامة دولة أرض الميعاد، وتحقيق حلمهم القديم الذي تزودوا به يوم خرجوا من فلسطين أذلة صاغرين في سبي بابل، ومازالوا يغذون أبنائهم جيل بعد جيل بعودة بني إسرائيل إلى بنيه، ويستندون أوهامهم فيه إلى نصوص دينية ووعود إلهية على لسان بعض أنبائهم افتراها أحبارهم وأيدوها بتلك الوعود المصطنعة، لترسخ في مستقر العقائد من أبنائهم ويتوارثونها فيما يتوارثون"[2].

"إن أجدادنا لم يأخذوا فلسطين من يد اليهود، وإنما أخذوها غلابا من أيدي الروم وحرروها من استعمارهم، وفي تحريرها تحرير لليهود أنفسهم. فماذا ينقم اليهود منا؟ ولماذا يجزون إحساننا لهم بالإساءة؟ ولماذا يستعينون علينا بأعدائنا وأعدائهم؟ إنه اللؤم المتأصل، والأنانية المركبة في الطباع المريضة، إن اللوم قرين الضعف ودليله، وحيث ترى ضعف الطباع ترى لؤم الطباع، وقد جرت الدول الإسلامية في تاريخها الطويل على معاملة اليهود بالحسنى، معاملة إلا تكن معاملة عمرية فهي بمقربة منها إلا في الفرط والندرة حينما ينقض اليهود عهدا أو يطاهرون عدوا، وما أكثر ما يقع منهم ذلك لأنه طبيعي فيهم لا يكادون يصبرون عليه[3].

[1]- بطرس بطرس غالي، حوارات مع أندريه فيرساي، ص125.

[2]- [3] البشير الإبراهيمي فلسطين عالم الأفكار ، الجزائر ،المحمدية، ط2، 2007، ص74.

"لم يشهد لهم التاريخ موقف دفاع عن حوزة، ولا سجل لهم صفحة واحدة في حماية حمى أو ذود عن حرمة وطن حازوة في ظل النبوة، ذلك أن اليهود لا وطن لهم ولا وطنية لا طباعهم بمعناها المعروف عند الأمم .فادعائهم للوطن القومي تدجيل وتضليل، وإنما الوطن القومي حلم دعا إليه منهم المهووسون جريا وراء أخيلة من الماضي العريق من غير تبصر في طبائع الأشياء، وألهية ابتكروها لهم ليسلوهم بها عن المصائب التي جرتها عليهم أنانيتهم، وشيء زينته لهم التطورات المتلاحقة في العالم. والداعي الأصيل في ذلك هو حب المال، إذ كل شيء عند هؤلاء القوم ما عدا المال هو وسيلة لا مقصد في الفلسفة اليهودية. وقد كذبوا وعد الله لهم على لسان موسى عليه السلام من أن الأرض المقدسة كتبها الله لهم، وكتب لهم فيها التمكين بأسبابه وأهمها القتال، وهم لا يحبون القتال لأنه يؤدي إلى القتل وهم أحرص الناس على الحياة.

تم فتح المسلمين لفلسطين في أيام عمر، وكان هذا الفتح كسائر الفتوحات الإسلامية يحمل الهدى والسلام ويفتح الأذهان قبل البلدان، وكان ينطوي على معنى الثأر لموسى وقومه ودينه"[1].

"اليهود لو كانوا يعقلون، فقد قطع دابر الرومان ودولتهم من فلسطين، وطهرها من ظلمهم واستعبادهم لليهود، لم يروا ناصرا قويا مثلما رأوا في الإسلام لو كانوا يقدرون النعمة ويشكرونها. وبفتح المسلمين لفلسطين وفيها بيت المقدس رجع إرث النبوة إلى النبوة، واجتمعت مساجد الإسلام الثلاثة في يد واحدة قوية قادرة على حمايتها، وعادت القبلة الأولى إلى الوجوه التي كانت تستقبلها وإلى النفوس المطمئنة لعبادة الله وحده فيها، وإلى الأيدي القادرة على حملها، وإلى أبناء العم، لو كان اليهود يرعون للأرحام حرمة. وفي فتح أسحاب محمد لبيت المقدس تتجلى الفروق بين الطبيعتين العربية واليهودية، وشتان وما بين ما يبذل مهجته في سبيل الله وتثبيت دين الحق في الأرض، وبين من يُكذب وعده ويشترط على رسوله، ويتألى عليه أن يؤتيه الملك والعز وهو ناعم ويستعلي على خلقه"[2].

[1-2]- البشير الإبراهيمي ،فلسطين ، ص78-81.

"قضية فلسطين في جوهرها وحقيقتها واعتبارها التاريخي قضية إسلامية من حيث إن فيها المسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة في حكم الإسلام. وهو أول قبلة صلى إليها المسلمون قبل الكعبة، ولئن نسخ هذا المعنى فإن الخصائص الأخرى من الاحترام الديني وشد الرحال إليه لم تنسخ، وإن المتوسمين في آيات الله، المستخرجين لدقائق الحكم منها يتلمحون في الأسرار في اختيارها قبلة أولى، وفي كونها كانت نهاية للإسراء وبداية للعروج، ما يضعها في موضع من الاحترام يوجب الدفاع عن مشاعرها. ودفع كل معتمد على حرمانها أن تدنس بوثنية، وتطهيرها بكل من يريد بها شرا، وإنها ميراث النبوة وضعها الله في أيد قادرة على حمايتها، وقد دافعت عنها بالفعل، وأقامت البرهان على اضطلاعها بحمايتها منذ أربعة عشر قرنا كاملة، وحاربت عليها أمم الأرض وما سلبها الله من اليهود وأورثها المسلمين إلا لأن اليهود كانوا أعجز الناس عن حمايتها"[1].

"ومن التزوير على التاريخ أن يقال أن اليهود احتلوا فلطين بالقوة العسكرية كما يحتل القوي الغالب أرض عدوه الضعيف المغلوب، ألا أن كلمة الحق التي يقف الواقع بجنبها شاهدا لا يكذب هي أن ملوك العرب وزعمائهم المتحكمين في مصائرهم المنفذين لإدارة المستعمر هم الذين سلموا فلسطين لليهود سائغة هنية، وحققوا للإنجليز غايتهم وما شرطه اليهود عليهم من تسليم فلسطين فارغة من العرب، كما تسلم الدار المبيعة فارغة من الساكن، فاصطنعوا لذلك التسليم المقرر وسائل وأعذارا من التخاذل والمشاكسات بين القادة العسكريين حتى تم الأمر بذلك التسليم المهين، وكل ذلك تم وفق خطة مدبرة متصلة الحلقات من الإنجليز وأعوانهم منا في مقابلة نفع مادي شخصي زائل ومناصب مضمونة لعدة رجال من العبيد باعوا قومهم بتلك الوظائف، وما زلنا نراهم رأي العين يتقلبون في تلك الوظائف الذليلة، وينفذون أغراض الاستعمار، ويدافعون عنها وقد حن لهم الدهر فنالوا ما نالوا"[2].

[1-2] البشير الابراهيمي، فلسطين ،ص83-84

"فيا ويحهم إن عبقهم الدهر وصحا من تلك اللوثة وما صحوه منها ببعيد، وما مصرع فاروق وعبد الله ببعيد من الذين باعوا فلسطين بالثمن الزهيد، ومهما تكن تلك الوظائف مضمونة من الإنجليز فإن ورائها الموت والنار والسبة الخالدة، ووراءها هبة الشعوب وثورات المكبوتين.

أما الصهيونية فهي قديمة، ولقد كانت في مرحلتها الأولى نسيجا من أحلام وخيالات وأماني، ولكن كثرة ملابسات القائمين بها للدول الاستعمارية نقلتها من طور إلى طور حين وجد كل من الاستعمار

الأوروبي والصهيونية في صاحبه عونا ومساعدا على أغراضه، ولم تزل المصالح المادية تقرب بينهما حتى اجتمعا في بعض النقط فتعاهدا على تقارض العون والمساعدة إلى نهاية الشوط، وصاحب ذلك ضعف الشعوب العربية وإحباطها وجهلها، فكان ذلك كله معينا على تنمية الفكرة.

وجاءت الحرب العالمية الأولى والعرب على تلك الحالة، فاتفقت دول الاستعمار على تشتيت العرب وتمزيق أوطانهم واستغلال الكنوز التي يجهلونها في أرضهم، وأهمها البترول، ولما كان نظر الاستعمار بعيدا وعلم أن انتصاره في تلك الحرب يضمن تشتيت العرب وتمزيق بلادهم ولكنه لا يضمن له بقائهم على تلك الحالة طويلا، فرأى أن يرميهم بالداهية الدهياء وهي تحقيق الوطن القومي لليهود"[1].

"وفي الواقع فإن أدب المقاومة –على وجه الخصوص– لم يكن أبدا ظاهرة طارئة على الحياة الثقافية الفلسطينية، وفي هذا النطاق فإن المقاومة الفلسطينية قدمت على الصعيدين الثقافي والمسلح نماذج مبكرة ذات أهمية قصوى كعلامة أساسية من علامات المسيرة النضالية العربية المعاصرة، وحفل التاريخ الفلسطيني منذ الثلاثينيات على الأقل بمظاهر المقاومة الثقافية والمسلحة على السواء، وإن كانت الثورات المسلحة التي خاضها شعب فلسطين قد أنتجت أسماء من طراز (عز الدين القسام) مثلا، فإن أدب المقاومة قد أُنتج، قبل ذلك ومعه وبعده، أسماء من الطراز نفسه، مازال المواطن العربي يذكرها بكثير من الاعتزاز ومن أبرزها (إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي) وغيرهم"[2].

---

[1]- البشير الإبراهيمي، فلسطين، ص86.

[2]- غسان كنفني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص14-15

"ومن هذه الناحية فإن أدب المقاومة الفلسطينية الراهن، مثله مثل المقاومة المسلحة يشكل حلقة جديدة في سلسلة تاريخية لم تنقطع عمليا خلال نصف القرن الماضي من حياة الشعب الفلسطيني. ولكن ما يميز الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة منذ 1948 حتى 1968 هو ظروفه القاسية البالغة الشراسة، التي تحداها وعاشها، وكانت الأتون الذي خير فيه إنتاجه الفني يوما وراء يوم.

لقد كان الحصول على نماذج هذا الأدب المقاوم صعبا للغاية، ومن المؤكد الآن أن هناك نماذج لم يتيسر قط نشرها، ولا نعرف فيما إذا كان من الممكن نشرها خلال الفترة الوجيزة القادمة، وكذلك فإن تراثا كبيرا من الشعر الشعبي الفلسطيني، الذي ولد وترعرع وانتشر في الريف الفلسطيني خلال العشرين سنة الماضية لم يتيسر لنا قط الحصول عليه بالصورة التي تتيح استخدامه لدراسة منفصلة أخرى، وإن كانت الجهود الحالية في هذا النطاق تبشر بإمكان ذلك"[1].

"إن أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد ربط ربطا محكما بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية، واعتبرهما طرفين من صيغة لابد من تلاحمهما، لتقوم بمهمة المقاومة، وقد مضى ذلك الأدب إلى أبعد من هذا، حين أدرك في وقت مبكر أيضا الترابط العضوي بين قضية مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وبين قضايا التحرر في البلاد العربية وفي العالم، وعلى هذه الجبهات جميعها بكل تعقيداتها، خاض أدب المقاومة في فلسطين المحتلة معركة التزاماته"[2].

"فالغالبية الساحقة من أدباء المقاومة في فلسطين المحتلة يمدون التزامهم إلى ما هو أبعد من الحدود الفنية، إنهم منتسبون فعلا إلى الحركة الوطنية بصورة أو بأخرى، يناضلون من خلال تنظيماتها ويذوقون في سبيلها نتائج سياسة القمع الإسرائيلية.

لقد بات معروفا مثلا أن الشاعر محمود درويش قد أودع السجن مرارا، وأن الشاعر سميح القاسم قد ذق بدوره مرارة الأحكام العسكرية، وقد مارست الحكومة الإسرائيلية ضغطا متواصلا على شركة أهلية لتطرد

1_2 غسان كنفاني ،الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)،ص16

من بين موظفيها الشاعر فوزي الأسمر بسبب شعره، ونضاله السياسي معا، وتعرض الشاعر توفيق زياد إلى الطرد من وظيفته، وكذلك توفيق فياض وغيرهم.

ولكن سياسة القمع هذه لم تؤد إلى أية نتيجة سلبية، وفي الواقع فإن شاعرا مثل محود درويش قد جدد رؤياه وطور آدائه بصورة مذهلة خلال وجوده في السجن، وكذلك فعل سميح القاسم.

وأدت سياسة القمع الإسرائيلية، التي غالبا ما كانت تغطي نفسها بمحاولات لتفتيت المجتمع العربي في الأرض المحتلة، وتأليبه على بعضه، إلى إدراك متزايد للوجه الاجتماعي في حركة المقاومة، وقد انعكس هذا بصورة خاصة على القصص القصيرة التي تعاملت أولا مع قضايا التقليد الكابحة، داخل المؤسسة الاجتماعية العربية ورفضتها في سبيل تجديد دماء المجتمع العربي ليكون قادرا على تحمل مسؤوليات المقاومة والمضي فيها إلى مداها.

وانعكست أيضا وغالبا في شعر الشعراء الشبان مع مطالع تجاربهم، وأي رصد لهذه التجارب سيؤدي إلى ملاحظة موحدة تقريبا، وهي أن الشاب يبدأ تجربته غالبا برفض القيود التي يفرضها المجتمع الريفي على علاقات الرجل بالمرأة، أو الأب بالابن، إلا أن هذا الرفض ما يلبث بصورة متسارعة أن يأخذ أبعاده وأعماقه، ويتوصل إلى الارتباط بآفاق التحدي المختلفة التي تواجه المواطن العربي في الأرض المحتلة، ليخرج من ذلك كله بالصيغة النهائية الراهنة، وهي إعطاء أدب المقاومة بعده التقدمي الاجتماعي العربي والعالمي"[1].

[1]-غسان كنفاني ، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968) ،ص54-55-56.

الفصل الأول:
مسيرة و محطات المقاومة الفلسطينية

المبحث الأول:تعريف المقاومة.

المبحث الثاني:نشأة المقاومة الفلسطينية.

المبحث الثالث:مظاهر المقاومة الفلسطينية.

الفصل الأول:مسيرة ومحطات المقاومة الفلسطينية

المبحث الأول: تعريف المقاومة

أ)لغة: إن مصطلح المقاومة في المعاجم العربية يأخذ معاني كثيرة ومتشعبة منها ما جاء في لسان العرب: "يقال: ما زلت أقاوم فلان في هذا الأمر أي أنازله، وفي الحديث: من جالسه أو قاومه في حاجة صابرة، قال ابن الأثير: قاومه فاعله من القيام: أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها"[1].

وجاء في المعجم الوسيط: "قاومه في المصارعة وغيرها بمعنى قام له، وفي حاجة قام معه فيها."[2]

ب)اصطلاحا: تعددت تعاريفه منها ما جاء في المنجد في اللغة العربية المعاصرة: "قاوم بمعنى ثبت، صمد، لم ينثن أو يضعف، وقاوم غزاة: عصا، تمرد، وقاوم بشجاعة، واجه بالعصيان، جابه وتمرد، وقاوم السلطة، اعترض فلانا وخالفه وجابهه، وقف في وجهه وحال دونه، ناهض وقاوم خصمه، تصدى لهجوم بالوسائل الحربية، وقاوم القوات المهاجمة، واجه بعناد وصلابة، تحدى، استمر في الدفاع، جابه وقاوم غارات العدو، وقاوم هجوما، جابه تصدى قام في وجهه، وقاوم عدوا: جابه، واجه بقوة وصلابة، وقاوم القوة بالقوة، كان معارضا له، عرقل وحال دونه.

(مقاوم): من يعلن المقاومة، ثائر متمرد، عاص. (مقاومو السلطة) (شعب مقاوم) (المقاومون والفارون من الجندية): الذي يحاول دون، الذي يعارض"[3].

"طبع مقاوم: محارب ينتمي إلى جماعة تقاوم المحتل، تكافح في سبيل تحرير البلاد، من يقاوم هو معارض، مناهض. (مقاوم الظالم) يحافظعلى صلابته في درجات حرارية عالية.

---

[1]-ابن منظور ،لسان العرب، مادة قاوم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، (د.ت)،المجلد الثاني عشر ،ص504.

[2]-إبراهيم مصطفى وآخرون ،المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، تركيا، ج1، ط2، (د.ت)، ص767.

[3]-صبحي حموي وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001م، ص1199.

فيتلخص مفهوم المقاومة: هو مجابهة القوة بالقوة، صمود في وجه المهاجم، نقول: أدى الجنود مقاومة بطولية. (مقاومة التجارب) منظمة عسكرية أو شبه عسكرية تشن على العدو المحتل حرب عصابات في المدن وخارجها. (مقاومة شعبية) القائمون بالحركة أنفسهم هم من عداد المقاومة"[1].

المقاومة: هي عبارة عن أفعال تنشأ نتيجة أوضاع راهنة، ويمكن تبيان هذه الأوضاع على أنها محاولة طرف ما سلب حرية الاختيار لطرف آخر، وتكون هذه الأفعال بهدف القدرة على استعادة هذه الحرية، فالمقاومة هي أفعال عسكرية أو سياسية أو ثقافية أو اقتصادية تنشأ كوسيلة لاستعادة حق أو كرامة إنسانية.[2]

وبناء على ما سبق لا يوجد تعريف محدد للمقاومة، سوى أنها حاجة الضعيف في مواجهة الأقوى، وهي مسألة خاضعة لموازين القوى الغير المتوازنة، إذ هي حاجة الضعفاء الذين لا جيوش لديهم للدفاع عن أرضهم وحقوقهم وحرياتهم وكراماتهم وأعراضهم.[3]

"ويمكن اعتبار المقاومة على أنها فرض إنساني لاستعادة القدرة على حرية الاختيار، فاختيار عدم الحرية ليس حرية، كما أنه في غالب الأحيان لا يمكن اعتبار الجانب الذي يقاوم هو الجانب الضعيف، فالضعف والقوة تختلف باختلاف المعيار الذي يتم اتباعه في قياس ذلك، هذا بالإضافة إلى أن أي حركة مقاومة هي الأقوى في محاولتها فرض اختيارها، هذا ما يشير إليه عزمي بشارة في تعريفه للمقاومة يقول: "لا شك أن للمقاومة كحركة إنسانية هي أكثر من فعل وردة فعل فيزيائي، مثل أصلها اللغوي في القانون لكل فعل رد فعل، أو في مقاومة الاحتكاك أو الجاذبية مثلا، فعنف المقاومة بأبسط طبقات التجريد هو فعل عنف ثانوي، ورد فعل لفعل عنف الاحتلال الأولي الأصلي"[4].

---

[1]-صبحي حموي وآخرون،المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،ص1200.

[2]-[3]ينظر ،الصايغ نصري، حوار الحفاة والعقارب دفاعا عن المقاومة، دار رياض الريس للنشر والكتب، (د.ط)، 2007م، ص64-66.

[4]- بشارة عزمي،أن تكون عربيا في أيامنا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ط)، 2004م، ص04.

وفي حديثنا عن المقاومة ندرج مفهوم المقاومة الشعبية، فقد ارتبطت العديد من المصطلحات بمفهوم المقاومة للتعبير عن استخدام اللاعنف في المقاومة مثل ثورة الحقيقة والاحتجاج السلمي والمقاومة السلمية، والمقاومة المدنية السلمية والمقاومة السلمية والمقاومة الغير العسكرية، والعصيان الغير المسلح، ونضال اللاعنف وكفاح اللاعنف.

ويقصد بقوة الحقيقة قوة الروح، وقوة المحبة، وهي تستبعد استخدام العنف لأن الإنسان غير قادر على معرفة الحقيقة المطلقة، وبالتالي فهو لا يستحق العقوبة، فما يبدو صحيحا لشخص يبدو خطئا لآخر. وأطلق عليها (غاندي) قوة الحب، حيث استنتج عن تجربته أن الإقناع بالحقيقة لا يتم من خلال استخدام العنف مع الخصم، ولكن من خلال فطامه عن الخطأ بالصبر والعطف، والصبر يعني تحمل المعاناة الشخصية، لذلك جاء مذهبه ليعني إظهار الحقيقة، ليس من خلال التسبب في معاناة الخصم، ولكن من خلال إظهار معاناة الذات.[1]

"أما المقاومة السلبية فهي وسيلة لحماية الحقوق من خلال إظهار المعاناة الشخصية، والاعتماد على قوة الروح لا قوة الجسد، وعلى القوة المعنوية لا المادية، وتعتمد على تحمل العواقب والصبر عليها وليس المواجهة المباشرة، ومثال على ذلك عدم تنفيذ القانون الجائر وتحمل عواقب ذلك وهي أعظم تجسيد لسلاح الضمير.

ويخلص الباحث إلى أن مفهوم المقاومة الشعبية هو مصطلح يهدف في معناه إلى التغيير والتبديل في قرار معين أو موقف معين أو نظام كامل بأكمله، وهو يتقاطع مع العنف في هذه النقطة ويختلف في كونه يتّبع أساليب لا عنفية، أساليب سلمية الطابع أقرّها الدستور في الحريات الممنوعة لأفراد المجتمع وخارجه عنه في بعض السلوكيات كالعصيان المدني وعدم الالتزام بواجبات المواطنة.

[1]- ينظر، شارب جين، في البدائل الحقيقية، مؤسسة ألبرت أنشتاينالو.م.أ، (د.ط)، 2004م، ص04.

فجميع ما سبق من مصطلحات تعبر عن فعل لا عنيف يهدف لمقاومة فعل غير مرغوب به، ولكن بدرجات متفاوتة من الفعل اللاعنفي ابتداء من المقاومة السلبية انتهاء بحرب اللاعنف، بذلك يمكن اعتبار مصطلح المقاومة الشعبية مصطلح جامع لكل أشكال استخدامات اللاعنف في مواجهة الظلم بكافة أشكاله"[1].

على الصعيد اللغوي لمفهوم المقاومة فإن الإنسان بطبيعته يمارس المقاومة بجميع صورها وأشكالها لمواجهة أي تهديد قائم أم محتمل لمصالحه، وكلمه مقاومة في أساسها تدلّل على طبيعة ممارستها، فإذا أرجعنا كلمة مقاومة إلى أصلها الثلاثي (قوم) فإنها تدل على معنيين أحدهما يدل على انتصاب أو عزم، والآخر بمعنى: قام بعضهم لبعض.

والمقاومة لغة هي الممانعة وعدم الرضوخ لتغييرات ولقوى مفروضة من الخارج، وبذلك يتبين أن المقاومة لغويا تدلّل على القيام بانتصاب وعزم لمناهضة فرض تغييرات تهدد المصالح.[2]

[1]- عبد الحكيم أحمد عادل وآخرون، حرب اللاعنف الخيار الثالث، أكاديمية التغيير، ط3، 2013م، ص55.

[2]- ينظر،شقور رفقه، أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها في المنطقة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير من جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2009م، ص16.

المبحث الثاني: نشأة المقاومة الفلسطينية وتطورها

-المقاومة الفلسطينية: هو مصطلح يشير إلى الحراك والسياسات والدعوات والعمليات التي تدعو أو تدعم مقاومة الاحتلال والاضطهاد للاستعمار الصهيوني للفلسطينيين والأرض الفلسطينية وتسعى لرفعه.

يستخدم المصطلح لوصف تحركات فلسطينية متنوعة تتراوح بين المقاومة المدنية الشعبية المسلحة، ويستخدم المصطلح للإشارة إلى الفترة بين بدء الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918 وحتى اليوم ومن أبرزها[1]

-المقاومة العربية في فلسطين: أدرك عرب فلسطين ما يُدبّر لهم وانفجر شعورهم الوطني منذ الانتداب حتى قيام الحرب العالمية الثانية (1920-1939) في مظاهرات واضطرابات وثورات دامية عبّروا بها عن سخطهم على السياسة البريطانية وحليفتها الصهيونية، وتبلور البرنامج العربي في الأهداف الرئيسية التالية:

1- إلغاء تصريح بلفور.
2- رفض الاعتراف بالانتداب البريطاني على فلسطين.
3- استقلال فلسطين.
4- تأسيس حكومة فلسطينية نيابية.[2]

-المرحلة الأولى في العشرينيات:

1-ثورة يافا 1921: "في سنة 1921 تظاهر العمال اليهود في تل أبيب يوم 01 ماي 1921 (عيد العمال)، وسارت مظاهراتهم في الأحياء العربية المجاورة في يافا، وقد بدأت باصطدام فردي بين عربي ويهودي، مما أدى إلى إطلاق النار بين المتظاهرين اليهود وأهالي يافا،

[1]- ويكيبيديا ، المقاومة الفلسطينية،ص2

[2]- أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص445.

واستمروا في ذلك إلى أن امتدت الاصطدامات لتشمل كل من يافا وتل أبيب، ثم انطلقت الاشتباكات في مختلف المناطق"[1].

كما هاجم الفلسطينيون في اليوم التالي مستعمرة في رحبوت، كما تمكن القرويون من اقتحام مستعمرة الحظيرة القريبة من طلكرم، وفي يوم الجمعة 06 ماي أشعلوا النار في المستعمرة، فهاجمتهم إحدى الطائرات البريطانية فقتلت 3 منهم وجرحت 3 آخرين، قم هاجموا مستعمرة ديران، فبدت البلاد كلها مقدمة على حالة التمرد، لذلك استعانت السلطة البريطانية بموسى كاظم الحسيني، قائد الحركة الوطنية في فلسطين لتهدئة الوضع على حذر، أي السلطات البريطانية التي ترى في دفاع الفلسطينيين عن وطنهم تمردا.[2]

2-ثورة البراق سنة 1929: "تجددت الاضطرابات في فلسطين بما يعرف بحادثة (البراق) أو (المبكى)، وهو حائط يعدّه اليهود من بقايا هيكلهم القديم، يأتون عنده ليندبوا عنده تاريخهم الغابر، ويعدّه المسلمون أثرا له لقداسته، فهو الحائط الذي رُبط فيه النبي صلى الله عليه وسلم عنده جواده حين أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وخرق اليهود تقاليدهم التي جروا عليها من زمن بعيد، ففي عيد لهم أقاموا على الحائط سترا، ولكن اليهود اتخذوا ذلك الحديث مادة لدعاية واسعة مُدّعين أن حرياتهم الدينية قد أُهدرت، وقاموا بمظاهرات صاخبة واصطدموا بالعرب وسقطوا مئات من القتلى والجرحى من الفريقين"[3].

وكان السبب الرئيس لهذه الانتفاضة الهجرة اليهودية المتزايدة، حيث أن بريطانيا أقدمت على تهجير أعداد كبيرة من اليهود رغم احتجاج الفلسطينيين على ذلك، أما السبب المباشر للانتفاضة هو الأعمال الاستفزازية التي أقدم عليها اليهود يوم 15 أوت 1929، وذلك

---

[1]- محمد عزة دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها، ج2، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1980م، د.ط، ص40.

[2]- ينظر، بيرنار غرانو فبيه إسرائيل سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة، ترجمة محمد سميح السيد، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1984م، د.ط، ص25-26.

[3]- أحمد عزت عبد الكريم،دراسات في تاريخ العرب الحديث ،ص448.

بتنظيمهم لمظاهرات حاشدة في ذكر تدمير معبد سليمان ورفعهم للعلم الصهيوني، كما قاموا بمظاهرات أكبر في شوارع القدس واتجهوا إلى حائط البراق مردّدين النشيد القومي اليهودي، مما أدى إلى استفزاز الفلسطينيين حيث أدى ذلك لاندلاع اشتباكات عنيفة بين العرب واليهود، واستمرت لمدة أسبوع، فاشتعلت نار الفتنة في كل من القدس، يافا، الخليل وصفد، مما أتاح لبريطانيا التدخل بقواتها للدفاع عن اليهود، فاستخدمت أقصى درجات القمع ضد المتظاهرين الفلسطينيين، واتخذت المظاهرات في جميع مدن فلسطين موقف العداء مع البريطانيين الذين باشروا حملة قمع ضد الفلسطينيين مستخدمين طائرات وقواة المشاة والمدرعات، فضلا عن الدمار الذي ألحقوه بقرية لفتة ودير ياسين، قُدّم للمحاكمة ألف شخص وصدر الحكم بإعدام 26 شخص (25 فلسطيني ويهودي 1)[1].

"وقد كانت حصيلة هذه الثورة كبيرة جدا، قُتل 133 يهوديا وجُرح 339، وارتفعت المشانق في عكا، فخسر الفلسطينيون 116 شهيدا و232 جريحا"[2].

-المرحلة الثانية في الثلاثينيات:

1-ظهور حركات مقاومة مسلحة سنة 1931: وردت تقارير الحكومة البريطانية تفيد بأن تنظيما ثوريا سرّيا، يقوم حاليا بنشاط في البلاد العربية والإسلامية للعمل على تحرير بلاد العرب والمسلمين وفي مقدمتها فلسطين من الاستعمار والحكم الأجنبي والأطماع الصهيونية.

وذكرت التقارير أن الزعيم العربي (شكيب أرسلان) في لبنان ومولانا (شوكت علي) الزعيم الهندي المسلم بعملات مع الحاج _أمين الحسني) المفتي العالم رئيس المجلس الأعلى الإسلامي للتخطيط لإيجاد وتجنيد وتمويل تنظيمات مسلحة تعمل على تحرير سوريا وفلسطين في وقت واحد، ويكون مراكز هذه التنظيمات المسلحة في شرق الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء.

[1]-ينظر ، مسعود أبو بصير،جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، د.ن، بيروت، 1968م، د.ط، ص136.

[2]- ناجي علوس، الثورة الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، المطبعة الجامعية، الموصل، د.ط، د.ت، ص164.

وخلال هذه الفترة قتل ثلاثة من اليهود في معمل الاسمنت بالمستوطنة اليهودية، ينشر الياجور قرب حيفا، ذكر أن هذه التنظيمات كانت هي الفاعلة ثم ذكر أن خلافا دبّ بين قادتها، حيث ذكر أن الزعيم العربي الدرزيّ شكيب قام باتصالات مع قادة الحزب الشيوعي في موسكو، مما حاد بالحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي إلى رفض اللقاءات ثم وقوع التصدع والخلاف وبالتالي وقف الحركة بكاملها.[1]

2-اضطرابات 1933: "في أوائل 1933 ازدادت الهجرة اليهودية نتيجة اضطهاد هتلر والنازيين الألمان، فهاجر عدد كبير منهم إلى فلسطين، ولم يهتم الإنجليز باحتجاجات الفلسطينيين ضد هذه الهجرة، فألهب ازدياد الخطر الصهيوني وتأسيس الحاميات العمالية، وفرق حراسة المستعمرات الصهيونية، وعقدوا في جميع أنحاء فلسطين اجتماعات شعبية تنادي بعدم التعاون مع حكومة الانتداب ومقاطعة لجانها، وأذاعت اللجنة التنفيذية في مارس 1933 بيانا طلبت فيه عرب فلسطين توجيه كفاحهم ضد الإنجليز، وقرر المؤتمر العام المنعقد في يافا يوم 26 مارس 1933 عدم التعاون مع حكومة الانتداب ومقاطعة البريطانيين."[2]

هذا وقد احتشد أكثر من 7000متظاهرا مسلحا فنشبت عدة اصطدامات، وفي غضون ذلك قتل أحد أفراد البوليس وجرح 25 سخصا منهم. أما المتظاهرين فقد قتل 12 شخصا وجرح 78 وألقي القبض على العشرات منهم.

وفي أواخر أكتوبر 1933 عمّ التمرد جميع مدن فلسطين، فهوجمت السكة الحديدة والميناء والمصفاة، واحتلت قوات الجيش مدن صفد، الناصرة، طولكرم، غزة. أما في القدس فقد هاجم المتظاهرون مراكز البوليس واستخدموا القنابل اليدوية، وحصل اشتباك بينهم وبين البوليس بالرصاص، واستمرت البلاد في اضطرابها طيلة أسبوع كامل (27 أكتوبر-3نوفمبر).

[1] -ينظر،نجيب الأحمد، فلسطين تاريخا ونضالا، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ط2، 2004م، ص204-205.

[2] -محمد عبد الرحمان حسن،العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل، منشأة المعارف الاسكندرية،د.ط ،د.ت ،ص191.

وفي جانفي 1934 شهدت جميع مدن فلسطين اضطرابا تمام، كانت قد دعت إليه اللجنة التنفيذية، ولجأت بريطانيا إلى تشكيل لجنة التحقيق في الأسباب المباشرة للاضطرابات، فأيقن الفلسطينيون بعد استمرار الكفاح في نطاق اللجنة التنفيذية، فرأوا حلّ هذه اللجنة وتكتل الأحزاب، وحلت خلال سنة 1934 أربعة أحزاب وهي: (الحزب العربي، حزب الدفاع، حزب الإصلاح، حزب الاستقلال).

فتشكلت لجنة سميت بلجنة الأحزاب، واعتبرت هذه اللجنة ككيان قومي لتوحيد صفوف الفلسطينيين وكلمة العرب، وفي 25 جانفي 1935 عقد مؤتمر برئاسة (الحاج أمين الحسيني)[1].

"للبحث فيما يمكن عمله لمواجهة الهجرة اليهودية وحماية الأراضي العربية الفلسطينية ومطالبة حكومة الانتداب بوقف الهجرة، ومنع بيع الأراضي الفلسطينية"[2].

3-جهاد الأبطال:

-ثورة الشيخ عز الدين القسام سنة 1935: الشيخ عز الدين القسام من مواليد بلدة جبلة بمنطقة اللاذقية في سوريا عام 1871، وهو من خرّيجي الأزهر الشريف في القاهرة، وكان مؤمنا بربه ودينه ووطنه، خطيبا بارعا ومناضلا ومجاهدا صلبا اشترك في الثورة السورية ضد فرنسا، قاد معركة جبل صهيون قرب مدينة اللاذقية عام 1920.

وبعد فشل الثورة السورية ضد الفرنسيين ذهب إلى فلسطين عام 1921، اتخذ مدينة حيفا مقرّا له لإقامته، عمل في حقل التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا، ثم انضمّ إلى جمعية الشباب المسلم في حيفا، وتولى رئاسة الجمعية سنة 1926.

عمل بعد ذلك إماما وخطيبا في جامع الاستقلال بحيفا. سكن في الحي العربي القديم في المدينة بين عامة الشعب والعمال، كافح الأمية حيث مان يعطي دروسا تطوعية، أصبح محبوبا وبرز اسمه

[1]- من مواليد 1895 وهو مفتي فلسطين ورئيس المجلس الأعلى الإسلامي توفي 1974. ينظر: إبراهيم أبو شقراء: مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وثورة (1936-1939)، مؤسسة الضحى للطباعة، ط1، بيروت، 1999م، ص18.

[2]-ياسين صبحي ، الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1932-1939، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، 1967، ص29.

وانتشرت أخبار نشاطاته في كافة أنحاء البلاد، فالتف الكثيرون حوله لتلقي العلم والموعظة والقيام بواجباتهم الدينية.

عُيّن مأذونا شرعيا عام 1929، من خلال نظرته لما يدور من مؤامرات بريطانية صهيونية أمبريالية لتهويد فلسطين، والآثار السيئة التي عاناها الفلاحون في فلسطين بسبب طردهم من قراهم وأراضيهم لتسليمها للصهاينة.

ومن خلال ثوريته المناضلة في نفسه ووعيه السياسي وإيمانه بدينه وربه وأمته العربية، ومن خلال نظرته للمقاومة التي يبديها الزعماء التقليديون للزحف الصهيوني. قرر سلوك طريق الجهاد والقيام بالتنظيم السري لإعلان ثورة مسلحة لحماية الوطن، وقد سهل له عمله كإمام وخطيب في جامع الاستقلال اختيار من كان يجد فيهم الروح الثورية والقابلية للانخراط في التنظيم السري تمهيدا لإعلان ثورة مسلحة، والتفّ حوله عدد غير قليل من المخلصين.[1]

"وما أن حل عام 1935 حتى كان الشيخ عز الدين القسام قد شكّل خمس لجان لتشرف على:

1- الدعاية
2- التدريب العسكري
3- التموين
4- الاستخبارات
5- العلاقات الخارجية

وقد تمكن من تنظيم 200 من طلابه الذين بلغ عددهم 800 طالب من خلال حلقاته الدينية بجامع الاستقلال بحيفا.

[1]- ينظر، نجيب الأحمد، فلسطين تاريخا ونضالا، ص218.

وفي تلك الفترة كانت الهجرة اليهودية تتدفق على فلسطين، منها ما هو بترخيص بريطاني. 60 ألف مهاجر يهودي عدا عن الهجرة المهربة"[1].

وكان الشيخ عز الدين القسام يحس بخطر الصهيونية، ويعلم أنها واصلة إلى ما تريده من أرض الوطن، فكان يدعو إلى اتحاد الكلمة، ولمّ الشعث، وبث روح الوطنية في نفوس الناس، داعيا إلى الوحدة، مناديا بالعودة إلى تعاليم السلف الصالح منذّدا بالاختلاف، منذرا قومه بعواقب الشقاق.

رأى أن عرب فلسطين بحاجة إلى درس رائع في التضحية يجمع كلمتهم ويوحّد صفوفهم، فقدم نفسه قربانا وتواعد مع بعض الخُلّص من أصدقائه على رفع راية الثورة، وتواعدوا على أن يقدموا حياتهم في سبيل أرض الوطن، وقد فطنوا إلى أن هذه التضحية ستحمل أكلَها، وتنبث ثمارها، وأنها ستكون مقدمة لصراع عنيف، وجهاد رائع، تكون فيه الغلبة للحق على الباطل.

وخرجت هذه العصبة الوطنية من بيوتها، بعد أن ودع كل واحد منهم زوجته وولده وعياله، وليس معهم من العدّة إلا قلوبهم القوية، ووطنيتهم الشديدة، وكتاب الله، وما تمكنوا من الحصول عليه من سلاح وذخيرة.

وفي سهل فسيح من سهول قرية من قضاء جنين، اصدمت هذه الثورة للمرة الأولى بقوة إنجليزية تفوقها عددا وعدة وسلاحا، واستبسل الشيخ ورفاقه، فأسلموا أنفسه لحكم الله.[2]

وقاتلوا قتالا مستميتا، باعوا فيه أرواحهم غالية، وتمّ للشيخ ما يريده من شرف الاستشهاد مع أربعة من الرفاق وهم: (الشيخ يوسف عبد الله ومصطفى الزيباوي، حنفي عطية أحمد، وحمد بوقاسم خلف). وقبض الجند على الباقين وهم: (الشيخ نمر السعدي، داوود الخطاب، ومحمود الزرعيني، ومحمود جابر) وكان ذلك في الثلث الأخير من شهر نوفمبر سنة 1935.

فمات الشيخ الشهيد الميتة التي كان يريدها، وكان يدعو الله أن يوفقه إليها، وفطنت فلسطين إلى الغرض الذي أراده الشهيد القسام من استشهاده. فاحتفلت حيفا في الخامس من يناير بتأبينه وتأبين رفاقه بمناسبة مرور أربعين يوما على مصرعهم احتفالا وطنيا رائعا.

---

[1]- نجيب الأحمد ،فلسطين تاريخا ونضالا ، ص219.

[2]- ينظر، إبراهيم نجم وأمين عقل وعمر أبو النصر، جهاد فلسطين العربية، وزارة الثقافة العربية، القدس، 2009م، د.ط، ص179.

وبعثت وفاة الشيخ القسام بموجة قوية من الشعور في الدوائر السياسية وغيرها في البلاد، واتفقت آراء الصحف العربية على تسميته بـ (الشهيد) فيما كتبته من مقالات.

وبموت الشيخ القسام تُطوى صفحة رائعة من صفحات الجهاد العربي في فلسطين، وتُفتح صفحة جديدة تتوقف على نتائجها وصمود العرب فيها هذا البلد المقدس.

وإذا كانت أدوار النضال العربي الأول حتى سنة 1935 تُعدّ بحق مقدمات الثورة الحاضرة، فإن استشهاد القسام يَصحّ أن يُحسب فاتحة الثورة ومشعل أنوارها.[1]

4-الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939): "كانت ثورة الشيخ عز الدين القسام الشعلة المنيرة لجماهير الشعب العربي الفلسطيني وخاصة بين الفلاحين والعمال، وأصبح الفلاح على قناعة تامة أنه بغير الثورة المسلحة والتضحية بالدم والروح لن يمضي وقت طويل حتى يُطرد من أرضه وبيته ليحلّ محله المهاجر (إسرائيل) على الأرض العربية والخطوة الأولى فلسطين، وذلك بالإستيلاء عليها وإقامة الدولة اليهودية عليها، ففي 15 أبريل عام 1936 قامت مجموعة من العرب بإغلاق (طولكرم) أمام السيارات، وكان في إحدى السيارات مسافرون عرب ويهود، فأطلق أفراد المجموعة النار عليهم وقتلوا يهوديا وجرحوا آخرين، كما جرح عربي من ركاب السيارة، فقام اليهود في اليوم الثاني 16 أفريل عام 1936 بقتل عربيين قرب مستعمرة (ملبس) كان إحداهما (حسين أبو راسين) من قرية صابرين قرب حيفا"[2].

أدرك العرب أن سياسة الاجتماعات والخطب لم تعد تجدي لمواجهة هذا الخطر الداهم، فتجددت الاضطرابات وسالت الدماء، وامتلأت السجون والمعتقلات بالمجاهدين العرب، ودعت

[1]- ينظر، إبراهيم بحم وأمين عقل وعمر أبونصرجهاد فلسطين العربية ، ص179-181.

[2]- نجيب الأحمد ،فلسطين تاريخا ونضالا ، ص222-223.

الحكومة البريطانية وفدا عربيا للمفاوضة، ولكن العرب لم يعودوا يؤمنون بالمفاوضات ولجان التحقيق والكتب البيضاء والسوداء، فقاموا سنة 1936 بثورة عنيفة لم تُخمد أوارها حتى قامت الحرب العالمية الثانية سنة 1939.

بدأت الثورة بإعلان إضراب عام في البلاد حتى شُلّت حياة البلاد الاقتصادية، واتّحدت الأحزاب العربية المختلفة في هيئة واحدة باسم (الهيئة العربية العليا). وقطعت خطوط المواصلات والبرق، وهوجمت المعسكرات البريطانية، واشتدت السلطات البريطانية في أعمال القمع من سفك الدماء وتحريق القرى و السجن والنفي، وكان للثورة الفلسطينية صداها القوي في سائر البلاد العربية، إذ آمن العرب جميعا أن قضية فلسطين لم تعد قضية أهلها وحدهم، وإنما غدت قضية العرب جميعا، فقامت في العواصم العربية مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية، وتوافد المتطوعون من الأقطار العربية لنصرة إخوانهم في فلسطين.[1]

-ثورة 1936: في أواخر أفريل سنة 1936 تألفت اللجنة العربية العليا من ممثلين عن جميع الأحزاب، وأعلنت الإضراب العام في جميع أنحاء فلسطين، وتقدمت إلى المندوب السامي بثلاثة مطالب: (وقف الهجرة، مع بيع الأراضي لليهود، تأليف حكومة وطنية تمثل الشعب).

ولم يمض أسبوعان حتى أخذت الأصوات ترتفع بوجوب الامتناع عن دفع الضرائب ومنع الموظفين الفلسطينيي من التعاون مع السلطات الإنجليزية. وتطور هذا الإضراب إلى ثورة عنيفة، إذ بدأ بإلقاء المفرقعات وتعطيل الأسلاك وتعطيل الطرق، والاشتباك مع رجال البوليس في المظاهرات، ثم تطورت فأخذت تظهر العصابات المسلحة في الجبال ضواحي المدن والقرى.

ولما فشلت بريطانيا في إيقاف الثورة استعانت بملوك وأمراء العرب، فاستجاب (غازي)[2] ملك العراق.

---

[1]- ينظر ، أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص450-451.

[2]- غازي بن فيصل الأول، ثاني ملوك العراق (ت 1939). ينظر،محمد حسن شراب،عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، دار البشير، ط1، جدة، 2000، ص30-31

و(عبد آل سعود)[1] ملك السعودية، وأمير شرق الأردن لرغبة بريطانيا، وقدموا مذكرة تخرج للحكومة البريطانية يطالبونها بحل سريع للمشكلة البريطانية،وفي 12أكتوبراستجابت اللجنة العربة لنداء الملوك وأوقعو الثورة .

"وعلى إثر توقيف القتال أرسلت بريطانيا في 11 نوفمبر 1936 لجنةبرئاسة (اللورد بيل) التي اقترحت مشروع التقسيم الأول 1937، ونتيجة لهذا المشروع عاد الفلسطينيون إلى الثورة المسلحة، فعمدت بريطانيا إلى محاولة جمع الطرفين الفلسطيني واليهودي تحت إشراف الإنجليز في المؤتمر، فيما سيكون عليه مستقبل فلسطين"[2].

بعد حديثنا المفصل عن المقاومة الفلسطينية وجهاد أبطالها في مرحلتين من مراحلها الكبرى، نتطرق إلى:

-المرحلة الثالثة: ما بعد صدور قرار التقسيم:

بعد أن تمكنت الولايات المتحدة من إقناع المجتمع الدولي بتقسيم فلسطين، كحل للمشكلة بين العرب واليهود، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم رقم 181 بتاريخ 1948/11/29، والذي نصّ على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وأخرى يهودية، ووضع القدس تحت نظام حكم دوليّ خاص تديره الأمم المتحدة، الأمر الذي أدى إلى تصاعد الاحتجاجات ضد الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية.

وبدأت الحركة الوطنية الفلسطينية بمواجهة الخطر الصهيوني والتصدي لقرار التقسيم، والعمل على حماية القدس من خطر التهويد، وقد ساعد الحركة على ذلك عودة عدد من قياديّيها من الخارج كعبد القادر الحسيني وجمال الحسيني وإيميل الغوري.

وقامت بتشكيل الهيئة العربية العليا وقوات الجهاد المقدس بقيادة (عبد القادر الحسيني) التي اتّخذت من القدس مقرّاً لها.

---

[1]- من مواليد 1876، مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (ت 1953). ينظر،عبد الله بن عبد الله المحسن التركي ،الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السعودية، (د.ط). (د.ت)، ص48.

[2]- إيميل توما ، جذور القضية الفلسطينية، تقديم محمد أيوب، المجلد 4 ،(د.ن)، فلسطين (د.ط) ، 1995، ص35.

وعلى الرغم من أن الحركة الوطنية الفلسطينية حاولت إحباط قرار التقسيم ومنع قيام دولة صهيونية من خلال شنّ حرب عصابات ضد العصابات الصهيونية بمساعدة المتطوعين العرب الذين جاؤوا من مختلف الأقطار العربية بقيادة (فوزي القاوقجي) واستمراراها في القتال لمدة خمسة أشهر ونصف، حتى وصلت الجيوش العربية إلى فلسطين بتارخ 14 أيار 1948، إلا أنها فشلت كما فشلت الجيوش العربية في الحفاظ على فلسطين من الضياع للأسباب التالية:[1]

1- "عدم وجود سلطة سياسية وعسكرية واحدة تشرف على تعبئة الجماهير والقوى السياسية والاجتماعية والعسكرية في فلسطين.

2- سيطرة الأنانية والمصالح الذاتية على بعض قيادات الحركة الوطنية واهتمامها بمصالحها الشخصية، وانقسامها إلى تيارين يطالب الأول بالتهدئة ويقبل بالوعود البريطانية ، فيما يدعو الثاني إلى الثورة وعدم الركون إلى بريطانيا ووعودها.

3- فشل معظم القيادات الفلسطينية في اتخاذ التدابير الاقتصادية اللازمة لتعبئة الجماهير وتنظيم موارد مالية من خلال الضرائب والرسوم لتوفير التمويل اللازم للحركة، كما كانت تفعل الحركة الصهيونية ومؤسساتها المالية في الصندوق القومي والوكالة اليهودية.

4- التناقض والتنافس في إصدار البلاغات والبيانات حول الأوضاع في فلسطين بشكل يحقق مصالح كل تيار ولا يتفق مع الحقيقة والواقع.

وعلى الرغم من كل ما قيل من قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية، إلا أنه من الظلم تحميلها المسؤولية الكاملة عن ضياع فلسطين واحتلال القدس، لأن الجميع يعرف أن موازين القوى كانت تميل في تلك الفترة لصالح العصابات الصهيونية المدربة والمجهزة بأحدث المعدّات والآليات وأجهزة الاتصال، وتساندها القوات البريطانية.

[1]- ينظر: انتصار خليل الشنطي، دور المجاهدين الفلسطينيين من قرار التقسيم إلى دخول الجيوش العربية، مجلة صامد الاقتصادي، العدد 113، ص61-64.

فيما كانت عناصر المقاومة الفلسطينية والعربية تتسلح بأسلحة بدائية ولا تتلائم مع طبيعة الأهداف والمهام الجسيمة التي كانت تقاتل من أجل تحقيقها، إضافة إلى أن الدول العربية لم تكن لتستطيع أن تقدم أي دعم أو مساعدة مماثلة للفلسطينيين، على اعتبار أن معظم هذه الدول كان لا يزال يرزح تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي بشكل مباشر وغير مباشر"[1].

وعلى الرغم من أن المقاومة اجتاحت كل المناطق الفلسطينية إلا أن القدس كانت مركز صنع الثورة وإشعالها، ولم تكن أهمية المدينة الاستراتيجية عن ذات القدر من أهميتها الروحية والرمزية بالنسبة للفلسطينيين والمسلمين عموما، حيث كان يدور في القدس قتال شديد وضاري، وقد شهدت العديد من المعارك الضارية كمعركة (بيت صفاف) التي اندلعت بتاريخ 1947/12/25 واستمرت حتى يوم 1948/02/02. وكانت من أولى المعارك التي أدت إلى رحيل سكان (بيت صفافا) عن منازلهم.[2]

"إضافة إلى معارك الصبيح وبيت سوريك وحي الشيخ جراح وحي المونتفيري، والمطران وباب العامود ومعركة القسطل وباب الواد. حيث تمكن المقاتلون الفلسطينيون من قطع الطريق على العصابات الصهيونية التي كانت تزحف إلى القدس، وأوقعوا في صفوفها خسائر فادحة.

وقد استمرت المعارك في القدس وحولها حتى دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بتاريخ 1948/05/15 بعد انسحاب آخر جندي بريطاني منها، عندها تمكنت العصابات الصهيونية من الاستيلاء على معظم المناطق المحيطة بالقدس الغربية وإحكام سيطرتها على المدينة، ومن تم إعلان قيام دولة إسرائيل"[3].

-المرحلة الرابعة الممتدة ما بين عام 1948 وحتى عام 1967:

[1]- عادل محمد العضايلة،القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،الأردن،ط1،2007 ، ص59.

[2]- ينظر،عارف العارف ،النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، 1947-1957، ج1، العصرية للطباعة والنشر بيروت، (د.ط) (د.ت)، ص45-47.

[3]- انتصار خليل الشنطي، دور المجاهدين الفلسطينيين في قرار التقسيم إلى دخول الجيوش العربية، مجلة صامد الاقتصادي، العدد 113، السنة 20، ص46-60.

أدت نكبة فلسطين عام 1948 إلى تدمير البنية التحتية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني وخاصة في مدينة القدس، وتلاحقت التطورات السياسية بعد انحصار الحركة الوطنية الفلسطينية. وانعقاد مؤتمر (أريحا) قرر توحيد الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية مع المملكة الأردنية الهاشمية، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القدس تقع تحت المسؤولية القانونية والسياسية والإدارية حتى إعلان قرار فك الارتباط عام 1987، إلا أن ما يهمنا هنا هو دور الحركة الوطنية الفلسطينية في القدس خلال هذه الفترة.

ولم يلق قرار مؤتمر أريحا بتوحيد الضفتين استحسانا لدى قادة الدول العربية وجزء من الشعب والقيادة الفلسطينية، حيث كان بعض الفلسطينيون يعتبرون أن قرار أريحا هو قرار ضمّ للضفة الغربية إلى المملكة، ويهدف إلى إنهاء طموحاتهم وآمالهم بإقامة دولة فلسطينية مستقلة.

أما على الجانب العربي فقد كانت الوحدة بمثابة تعزيز لمكانة الأردن الدولية الإقليمية من النواحي السياسية والاقتصادية والدينية، لما تمثله القدس من إرث ديني وتاريخي وحضاري للديانات السماوية الثلاث، بما تحتويه من مقدسات دينية إسلامية ومسيحية ويهودية، خاصة وأن نظام الحكم في الأردن كان يستمدّ شرعيته من ارتباطه بالعائلة الهاشمية التي تنتمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فقد وقف الجميع ضد هذه الوحدة حتى الذين كانوا يدّعون القومية وينادون بالوحدة العربية، وكان لا بد أن يتأثر قطاع كبير من الفلسطينيين بهذا الموقف خاصة بعد نجاح ثورة الضباط الأحرار في مصر واستيلائهم على السلطة، ولهذا نشطت في الضفة الغربية مجموعات من الطبقة المتوسطة تدعو إلى تشكيل جبهة معارضة قوية لهذه الوحدة. ما لبثت أن تطورت لاحقا إلى معارضة مسلحة بدأت بتشكيل مجموعات فدائية تمارس العمل العسكري ضد إسرائيل انطلاقا من الأراضي الأردنية.[1]

[1]- ينظر، عادل محمد العضايلة، القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام ، ص60.

"وقد لقيت هذه المعارضة تأييدا سياسيا ودعما ماديا ومعنويا من العديد من الأنظمة العربية العسكرية التي وصلت إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية، وامتطت قضية فلسطين عنوانا بارزا لتبرير سطوها على الحكم في تلك الدول، وقد ظهر ذلك بشكل واضح بعدما بدأت تتشكل الفصائل المسلحة ذات التوجهات السياسية المناوئة لهذا النظام أو ذاك، حيث قامت هذه الأنظمة باحتواء هذه الفصائل وتسخيرها لخدمة أهدافها، وكان من نتيجة تطورات هذا الواقع تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية وما تلاها من تداعيات على القضية الفلسطينية والمنظمة ذاتها"[1].

-المرحلة الخامسة الممتدة ما بين عامي 1967 إلى 1987:

بدأت هذه المرحلة مباشرة بعد حرب حزيران عام 1967، حيث توافقت هذه المرحلة بعد بدء استيلاء جيش الاحتلال على المناطق الفلسطينية، والشروع بإقامة المستوطنات عليها، وبالتالي تميزت هذه المرحلة بتصعيد الهجمات العسكرية على المستوطنات والمستوطنين وجنود الاحتلال، وامتنع العمال الفلسطينيون عن العمل في المستوطنات وحتى في إسرائيل.

وقد كان اندلاع مواجهات يوم الأرض في الثلاثين من مارس 1976 نقلة نوعية كبيرة في حركة مواجهة الاستيطان والدفاع عن الأرض الفلسطينية، حيث بادرت الجماهير العربية داخل الخط الأخضر والضفة والقطاع إلى الخروج بمظاهرات عارمة، رافضة سياسة مصادرة الأراضي والاستيلاء عليها والاستيطان فيها.

وبذلك بدأت قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية نتيجة للأزمات التي تعرضت لها منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج، والإجراءات الاحتلالية القمعية على الأرض الفلسطينية، وإحباط اتفاقيات (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل، وكان من أهم ملامح حركة المقاومة الوطنية في هذه المرحلة:

[1]- انتصار خليل الشنطي ،دور المجاهدين الفلسطينيين من قرار التقسيم الى دخول الجيوش العربية،مجلة صامد الاقتصادي ،العدد 113،السنة 20، ص142.

1-أبرزت الدور التاريخي المتطور لحركة المقاومة التي بدأت بعمليات عسكرية ضد الاحتلال، ومقاومة بدايات حركة الاستيطان، وشنّ هجمات مسلحة على المستوطنات خاصة في غور الأردن والخليل والقدس.[1]

وقد حاولت بريطانيا فرض مشروع اللجنة بالقوة بعد عودة الجماهير العربية للنضال المسلح، ووقفت اللجنة العربية العليا ونفت قيادتها، وتعرضت قرية كل فدائي لأعمال العنف والقمع، ولكن ظلت الاضطرابات تعمّ البلاد لذلك أرسلت بريطانيا لجنة حكومة أخرى برئاسة (وودهد)[2]كلفت بتطبيق مشروع التقسيم للورد بيل 1937، ولكن اللجنة فشلت في أداء مهمتها.[3]

"واستأنف العرب الفلسطينيون ثورتهم في خريف 1937 والتي استمرت سنتين وبضعة أشهر، من (سبتمبر 1937 إلى جانفي 1940) وكانت أوسع شمولا، وقد مست عمليات الثوار أنابيب النفط وخطوط السكك الحديدية والجسور والأسلاك والمحطات والمطارات وغيرها من الأعمال التخريبية.

ولما رأت بريطانيا مساندة العالم العربي والإسلامي للثورة الفلسطينية، ألغت قرار التقسيم ودعت إلى عقد مؤتمر لندن 1939، والذي خرج بقرار نهائي عن كتاب أبيض ثالث"[4].

وقد قُدّر عدد ما تكبده العرب في ثورة (1936-1939) خمسة آلاف شهيد وخمسة عشر

ألف جريح من سكان لا يتجاوز عددهم المليون، أما عدد المعتقلين في السجون والمستعمرات قد بلغ عام 1939 حوالي 5600 معتقل، وقد كانت الميزة الهامة لثورة (1936-1939) أنها ثورة شعبية جماهيرية قامت لأهداف كبرى، وتحدّت قوى الطغيان بكل ما لديها من إمكانيات.[5]

---

[1]- ينظر،ذياب مخادمة وموسى الدويك، الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني، مركز دراسات الشرق الأوسط، (د.ط) (د.ت)، ص207-208.

[2]- وودهد لجنة أنشئت عام 1938 في ظل الانتداب البريطاني لفلسطين بعد أن فشلت لجنة بيل في إيجاد حل للثورة العريقة في فلسطين 1936-1939. ينظر: ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki

[3]- باميلا ان سميث،فلسطين والفلسطينيون 1876-1973،ترجمة الهام بشارة الخولي ،ط1،دار الحصاد ،دمشق ،1991،ص77-78

[4]- إبراهيم أبو شقرا، مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وثورة 1936-1939، ص18.

[5]-ينظر، ابراهيمابو شقرا, مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وثورة (1936-1939)،ص62

2- "جاءت هذه المرحلة لتثبيت قوة ارتباط الشعب الفلسطيني بالأرض الفلسطينية، وتعميق حبه للوجود العاطفي والوطني الفلسطيني، وتمسكه بالبقاء على الأرض الفلسطينية، وارتباط قيادة الشعب الفلسطيني في داخل الأرض المحتلة، وبدء إدراك أهمية المقاومة داخل الأرض المحتلة.

3- أثرت الأوضاع السياسية لتلك المرحلة خاصة اتفاقيات كامب ديفيد في زيادة الإحساس بضرورة التركيز على الجهد الفلسطيني داخل الأرض المحتلة كمحور ومحرك رئيس في عمليات المقاومة"[1].

من خلال ثورة 1936 وإعلان الإضراب العام الكبير وبعد عام 1948، وسحق المقاومة وتهجير السكان، بدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي، وبدأت تستخدم مصطلح (الكفاح المسلح) للإشارة إلى أشكال المقاومة المسلحة. يُستخدم مصطلح المقاومة الفلسطينية على مستوى دولي، واستخدم مصطلح المقاومة في الخطاب الفلسطيني من قبل منظمات التحرير، أصبح مصطلح المقاومة جزء من هوية الفصائل الفلسطينية حتى أنه أصبح جزء من اسمها مثل:

1-حركة المقاومة الإسلامية (حماس) عام 1987: هي حركة فلسطينية سنّية شعبية وطنية مقاومة للاحتلال الصهيوني وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية، تؤمن بأن النهضة هي المدخل الأساسي لهدفها، وهو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر، وهي أكبر الفصائل الفلسطينية حسب آخر انتخابات 2006.

جذورها إسلامية وتعّرف نفسها على أنها حركة تحرر وطني ذات فكر إسلامي وسطي معتدل، يرتبط مؤسسو حركة حماس فكريا بجماعة الإخوان المسلمين، تعمل على توفير الظروف الملائمة لتحقيق تحرر الشعب الفلسطيني وتحرير أرضه من الاحتلال الإسرائيلي.[2]

تأسست يوم 14 ديسمبر 1987 من طرف الشيخ (أحمد ياسين) وآخرون، وقائد هذا الحزب (اسماعيل هنيّة) و(يحي الستوار).[1]

[1]- ذياب وموسى الدويك، الاستطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني ، ص208-209.

[2]- ويكيبيديا، المقاومة الفلسطينية، قائمة الوكيبيديا، ص3.

"وقد ظهرت بوادر التأسيس للجهاز العسكري عندما أرسلت القيادة بعض كوادرها سنة 1980 للتدريب العسكري في الخارج، وأقام الشيخ أحمد ياسين الجهاز العسكري في القطاع، وقاده في مراحله الأولى (عبد الرحمن مراز) ثم (صلاح شحاتة).

بعد أن تمّ انكشاف أمر التنظيم العسكري عن طريق أحد تجار السلاح المشبوهين أدى إلى ضربه في فترة 1984/07/01،وقبضت السلطات الإسرائيلية على الشيخ أحمد باسين بتهمة انتمائه لتنظيم معاد لإسرائيل وحيازة الأسلحة، وحكمت عليه بالسجن 13 عاما.

غير أنه أُفرج عنه في عملية تبادل الأسرى التي تمت في 1985/05/20 بين المنظمات الفدائية الفلسطينية والكيان الإسرائيلي، وقد أعيد ترميم الجهاز وإعادة بنائه من جديد سنة 1986 تحت اسم (المجاهدون الفلسطينيون)، وبدأت تشكيلات الجهاز بالعمل قبل انتفاضة 1987، خاصة في مجال جمع السلاح وتخزينه وتدريب العناصر، وتأسيس الجهاز الأمني للإخوان في قطاع غزة (مجد) سنة 1981، كجزء من العمل العسكري، وأُعيد بناؤه وتوسيعه سنة 1985"[2].

-صور المقاومة لحركة حماس الإسلامية:

1- الإضرابات الشاملة: تعدّ الإضرابات من فعاليات المقاومة، وهي صورة من التعبير عن الرفض والتمرد على إجراءات الاحتلال الإسرائيلي، وقد أولَت حماس ذلك اهتماما بالغا.

على مدار سنوات الانتفاضة وأيام الإضراب كانت تتعطل الأعمال الاقتصادية، وتُغلق المحلات التجارية، وتتوقف حركة السير والمواصلات، وتشغل إطارات السيارات، وتعلو الآيات القرآنية والنشيد الوطني عبر مكبرات الصوت في المساجد.

مثلا البيان الصادر بتاريخ 23 فبراير 1988، دعت فيه الحركة إلى مقاطعة زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية (جورج شولتز)، وحذر كل الذين يلتقون معه لإكمال الصفقات

[1]- المرجع نفسه، ص4.

[2]- محسن محمد صالح ،دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2003م، (د.ط) (د.ت)، ص408-409.

الهزيلة من وراء الكواليس. دعت لإضراب شامل يومي الأربعاء والخميس 25 فبراير في نفس السنة، وقد لاقى الإضراب استجابة كبيرة، وأظهرت حركة حماس إبداعا في تمرير الإضرابات بنجاح:

أ) إحداث انفجارات في جميع مناطق قطاع غزة.

ب) استحداث أساليب إبداعية مثل صناعة الكرات المسمارية.

ففي فبراير عام 1988 استحدثت حماس صناعة الكرات المسمارية ذات الاتجاهات بشكل معكوف، حيث تقف على أية جهة، وهي قادرة على إصابة إطارات السيارات مما يعيق الحركة لها، خصوصا السيارات والجيبات الإسرائيلية.[1]

2- الإضرابات التجارية: "طلب من جميع المحلات مقاطعة البضائع الإسرائيلية وذلك بهدف تحقيق المس بالاقتصاد الإسرائيلي وإضعافه، تنمية وتعزيز قطاعات إنتاجية موجودة، تقليل التبعية الاقتصادية لإسرائيل، فيما لجأت قوات الاحتلال إلى مواجهة من الإجراءات لكسر الإضراب التجاري"[2].

3- الكتابة على الجدران: تعد الكتابة على الجدران معلما من المعالم الأساسية للانتفاضة، وقد تميزت حماس بتلك الفعالية عن غيرها من الفصائل الأخرى، حيث امتازت بقوة الشعارات التي كانت تكتب على الجدران.

بالإضافة إلى جمال الخط، حيث تميز من يكتب على الجدران بالخط الجميل والرسومات المميزة، وقد برز ذلك، ونال إعجاب الناظرين، وقام (يوسف أبو هين) بعملية الكتابة. ومن الشعارات التي كتبت: (خيبر خيبر يا هود، جيش محمد سيعود، والإسلام هو الحل، وفلسطين إسلامية من البحر إلى النهر، وسنحرق الأرض تحت أقدام الغزاة، ونعم للمقاومة لا للاستسلام، ولا سياسة

[1]- ينظر، رجب حسن العوضي البابا، جهود حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية سنة 1987-1994. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير من الجامعة الإسلامية في غزة، 2010م، ص71.

[2]- حمدان غسان، الانتفاضة المباركة،(د.ن)، (د.ط) ، (د.ت)، ص360.

التجهيل، ونعم للوحدة الوطنية ولا التفريط في شبر من أرض فلسطين المسلمة، والانتفاضة مستمرة حتى تعود الأرض حرة.[1]

4-المواجهات الجماهيرية وأيام التصعيد: "تلبية لنداء حماس رقم 26 بجعل يوم 21 جوان 1988 يوما للمواجهة والتحدي، نظمت الحركة في نابلس مسيرة في منطقة النصر، ضمت ألفي شخص من مختلف مساجد المدينة.

وفي الساعة العاشرة ونصف صباحا، انطلقت المسيرة رافعة الأعلام الفلسطينية المزينة ب (لا إله إلا الله، محمد رسول الله). إضافة إلى رفع رايات حركة المقاومة الإسلامية حماس. وطافت المسيرة حي (القصية) لمدة وجيزة (25 دقيقة)، وتوقفت من أجل قراءة بيان حركة المقاومة 26 الخاص بالعيد وترتيباته.

وفي تمام الساعة 11:10 أعلن عن بدئ المواجهة مع قوات الاحتلال عبر مكبرات الصوت، وتجهز الملثمون بالقناع الأسود، وبدأت المواجهة في مداخل البلدة القديمة من جهة الدوار، واستشهد من خلالها (ماهر أبو غزالة 24 عاما) أحد شباب مسجد فاطمة الزهراء، فيما أصيب عدد من الشبان من بينهم سبعة من شباب المساجد، وبرز في هذه المسيرة وحدة الهتاف والرايات، ووحدة الأقنعة ووحدة قيادة المسيرة، وقد نالت إعجاب ودهشة الناس"[2].

2- حركة التحرير الوطني (فتح): "كثرت الروايات حول تاريخ نشأة حركة فتح والإرهاصات التي سبقت مرحلة الانطلاقة، وبدأت فكرة إنشاء حركة فتح عام 1957، وتم الإعلان عليها رسميا في الأول من كانون الثاني عام 1965.

وهي اختصار لحركة التحرير الوطني الفلسطيني، تصبح (حتوف) وبإزالة الواو تصبح (حتف)، قلبت إلى الفتح من (الفتح المبين) لأنها ثورة حتى النصر والفتح نظير النصر..

---

[1]- بيان حركة المقاومة الفلسطينية بتاريخ 13 مارس 1988م. ينظر ،جهاد ، جهاد الانتفاضة المباركة ومستقبلها، ص96.

[2]- رجب حسن العوضي البابا ، جهود الحركة المقاومة الاسلامية (حماس) ،في الانتفاضة الفلسطينية رسالة الماجستر ،سنتي 1987-1994،بالجامعة الاسلامية ،غزة ،2010،ص72.

ويشير (سليم الزعنون) أحد قادة حركة فتح ومؤسسيها أن الحركة تأسست على يد تحالف ضمّ الإخوان المسلمين والبعثيين الفلسطينيين، فيما سمي حينها (جبهة المقاومة الشعبية) ومن هذه الجبهة انطلقت فكرة إنشاء (فتح)"[1].

قرر المجتمعون قيام مجموعة مؤلفة من حركة (فتح) بمهاجمة المراكز الإسرائيلية داخل فلسطين المحتلة عام 1948، وإطلاق الرصاصة الأولى للثورة الفلسطينية المتحررة النقية البعيدة عن كل وصاية عربية أو غير عربية، والانعطاف بالقضية الفلسطينية إلى مسارها الصحيح، وتحويل شغب فلسطين من شعب مكبوت ينتظر الصدقات والإعانات كشعب لاجئ متشرد إلى شعب ثائر محارب مقاتل، ليصبح مفخرة الأمة العربية وطليعتها النضالية والتحررية.[2]

"وفي اليوم الأول من كانون الثاني عام 1965 قامت مجموعة من حركة فتح بمهاجمة (نفق عيلبون) الإسرائيلي، وأطلقت حركة فتح الرصاصة الأولى للثورة الفلسطينية، وقدمت في هذه المرحلة أول شهيد للثورة الفلسطينية هو المناضل الشهيد (أحمد موسى).وكان المناضل (محمود بكر) أول أسير لفتح في هذه العملية.

وهكذا بدأت الثورة الفلسطينية الحرة الطليقة من التبعية والوصاية، وبدأ كفاح الشعب الفلسطيني (بالدم والروح نفديك يا فلسطين)، وانطلقت فتح لتعلن بعث الإرادة الحرة للإنسان العربي الفلسطيني، وتحريره من الوصاية العربية الرسمية ومن هذه الاستراتيجية العربية الدفاعية.

ومن مجتمع يرصف في قيود القوانين العربية التي تحرمه من حمل السلاح، معلنة أن حمل السلاح حق جماهيري مباح لشعب فلسطين الذي قرر التصدي للحملة المسعورة التي قادتها الصهيونية العالمية والامبريالية الأمريكية والاستعمار الغربي، بقصد تصفية الوجود العربي الفلسطيني على أرضه والقضاء عليه.

---

[1]- عمر رشاد سليم ناصر،حركة فتح الإشكاليات والتحديات، إشراف، رائد نغيرات. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م، ص18-19.

[2]- ينظر، نجيب الأحمد،فلسطين تاريخا ونضالا ، ص688.

ورغم الحصار العربي فقد قامت حركة فتح بعدة عمليات عامي 1965-1966، وأبلى شباب فتح في حرب حزيران 1967 بلاء حسنا في مقاومة الاعداء، ثم تصاعدت حركة فتح والتحق بالطليعة عدد آخر من الشباب المناضل، ومنهم: فاروق القدومي(أبو اللطف) وخالد الحسن ووليد نصر ونمر الصالح وصلاح خلف وسليم زعنون، وعدد كبير من رؤساء وأعضاء النقابات العمالية والمهنية والاتحادات الطلابية والنسائية.

وتسلمت فتح قيادة الثورة الفلسطينية وأصبح ياسر عرفات (أبو عمار) رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقائدا عاما للثورة الفلسطينية بدون منازع، وخاضت كل المعارك بشرف وأصبحت حركة عربية فلسطينية ثورية لها وزنها الدولي" [1].

3- حركة الجهاد الإسلامي: وهي تنظيم عسكري فلسطيني يتخذ من الإسلام منهج حياة وجهاد، نشأت بعد تضييع الفكر الإسلامي لقضية الجهاد في فلسطين والعمل على تحريرها في وقت سيطرت عليه الأحزاب التيارية والوطنية على الساحة الفلسطينية. كما أنها حركة مناهضة لاتفاقية (أوسلو) بين ياسر عرفات وإسرائيل.

أسست الحركة في السبعينيات على يد الدكتور (فتحي الشقاقي) وعدد من الطلاب الفلسطينيين أثناء دراستهم في مصر متأثرة بالثورة الإسلامية الإيرانية، ولها تواجد كبير في فلسطين.

لا تشارك الحركة في العملية السياسية، إذ قاطعت الانتخابات التشريعية سنة 2006، أمينها الحالي هو (رمضان عبد الله شلح)[2].

أهم المعارك التي خاضتها: خاض الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي (سرايا القدس)

عدد من المعارك ضد الكيان منها: معركة (بشائر النصر) التي خاضتها وحدها، حيث قدمت

خلالها 14 شهيدا من خيرة أبطال الوحدة الصاروخية.

---

[1]- نجيب الأحمد،فلسطين تاريخا ونضالا ، ص689.

[2]- ويكيبيديا: حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.http://ar.wikipedia.org/wiki

وكانت هذه المعركة ردا على اعتقال الأمين العام لألوية الناصر صلاح الدين الشيخ (زهير القيسي).

ومنها أيضا معركة (السماء الزرقاء) ومعركة (كسر الصمت) ومعكرة (البنيان المرصوص). وتجدر الإشارة أن سرايا القدس أول جناح عسكري قصف مدينة (تل الربيع) في معركة (السماء الزرقاء) عام 2012، وأول من استعمل راجمات الصواريخ ضد الاحتلال الصهيوني.

-المبادئ العامة للحركة:

1- تلتزم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، وأداة لتحليل وفهم طبيعة الصراع الذي تخوضه الأمة الإسلامية ضد أعدائها، ومرجعا أساسيا في صياغة برنامج العمل الإسلامي للتعبئة والمواجهة.
2- فلسطين من النهر إلى البحر أرض إسلامية عربية يُحرّم شرعا التفريط في أي شبر منها، والكيان الصهيوني وجود باطل يحرم شرعا الاعتراف به على أي جزء منها.
3- يمثل الكيان الصهيوني رأس الحربة للمشروع الاستعماري الغربي المعاصر في معركته الضارية الشاملة ضد الأمة الإسلامية، واستمرار وجود هذا الكيان على أرض فلسطين وفي القلب من الوطن الإسلامي يعني استمرار وهيمنة واقع التجزئة والتبعية والتخلف الذي فرضته قوى التحدي الغربي الحديث على الأمة الإسلامية.[1]

[1]- حركة الجهاد الإسلامي ، موقع المعرفة http.www.qudsway.com

المبحث الثالث: مظاهر المقاومة الفلسطينية:

-المظهر الأول: وتمثل في عدد من إجراءات المقاومة الشعبية منها:

- أولا: "رفض جميع القرارات والإجراءات التي أصدرتها الحكومة الإسرائيلية لضمّ المدينة إداريا وسياسيا من خلال الاحتجاج والإضراب والمظاهرات واستخدام الوسائل التربوية، وتوجيه العرائض لسلطات الاحتلال والمؤسسات والهيئات الدولية، والعمل على إبقاء المؤسسات السياسية والاجتماعية والمدنية والاقتصادية والنقابية خارج نطاق السيطرة الإسرائيلية.

وإبداء سكان المدينة اعتراضهم على جميع الإجراءات الإسرائيلية، ورفض التخلي عن ممتلكاتهم، وإبلاغ سلطات الاحتلال والهيئات الدولية بذلك عبر الرسائل والاتصالات الشخصية وعقد الندوات والمؤتمرات"[1].

ففي الأيام الأولى للاحتلال أرسل عدد من شخصيات مدينة القدس رسالة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي (ليفي أشكول) جاء فيها: "نبعث إليكم هذه المذكرة لننقل لكم قلقنا البالغ إزاء ما يعكسه مصادرة الأراضي العربية في القدس على الجهود المبذولة لإحلال السلام العادل في المنطقة، إن غايتنا هي الحفاظ على المدينة العربية والطابع الذي عرفت به على مرّ العصور، ونرغب أن نؤكد لكم شجبنا لهذه الإجراءات لأسباب كثيرة"[2].

-ثانيا: "رفض التعامل والتعاون مع سلطات الاحتلال فيما يتعلق بشؤون حياة المقدسيين اليومية، حيث رفضت جميع المؤسسات العربية بمختلف أشكالها تنفيذ القرارات الإسرائيلية الرامية إلى دمجها في المؤسسات الإسرائيلية، فعلى سبيل المثال: رفض الجهاز القضائي العربي قرار إغلاق المحاكم العربية

[1]- عادل محمد العضايلة، القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام، ص61.

[2]- تقرير إخباري بصحيفة الدستور الأردنية بتاريخ 1968/01/24.

واستبدالها بمحاكم إسرائيلية، وامتنع المحامون والقضاة المدنيون والشرعيون والعاملون في القضاء التعامل مع سلطات الاحتلال أو الظهور أمام المحاكم والهيئات القضائية الإسرائيلية"[1].

"كما رفض رئيس بلدية القدس الشرقية (روحي الخطيب) وأعضاء المجلس انضمامهم إلى بلدية القدس الموحدة الإسرائيلية، الأمر الذي أدى إلى حل المجلس البلدي، ودمجه بالقوة وإبعاد السيد الخطيب إلى الأردن.

ورفضت الغرف التجارية في القدس الشرقية ضمّها إلى المؤسسات الإسرائيلية، وكذلك عملت المؤسسات التعليمية الفلسطينية بذات الاتجاه، وتصدّت لمحاولات فرض منهج عربي إسرائيلي على المدارس العربية"[2].

أما في مجال النقابات المهنية والجمعيات الخيرية فقد رفضت جميعها التسجيل في النقابات والجمعيات الإسرائيلية، وظلت تعمل بموجب القوانين والأنظمة الأردنية واعتبارها فروقا للنقابات المهنية في الأردن.

وفي الجانب الاقتصادي تشكل رفض دفع ضريبة الأرنونا والصراع على شكرة كهرباء القدس أحد أهم أبرز المقاومة الاقتصادية للاحتلال الإسرائيلي، فاحتجاجا على سياسة إسرائيل الاقتصادية أرسل مواطنو القدس رسالة إلى الحاكم العسكري يعترضوا فيها على تطبيق الأنظمة والقوانين الضريبية، وأعلنوا تمردهم على دفع هذه الضريبة.[3]

"وبخصوص شركة كهرباء القدس فقد وقف العرب بحزم اتجاه محاولة سلطات الاحتلال منذ البداية مصادرة امتياز الشركة، وتصفيتها وتهويدها كغيرها من المؤسسات الاقتصادية الأخرى، بهدف محو الوجود العربي الاقتصادي في المدينة باعتبارها تشكل رمزا سياديا، وتمثل بعدا معنويا للهوية الفلسطينية لما تمثل من همزة وصل بين عروبة القدس وبقية المناطق في الأراضي الفلسطينية، وعلى الرغم من أن إسرائيل

---

[1]- روحي الخطيب: المؤامرات الإسرائيلية على القدس ما بين 1965-1975، عمان، (د.ط)، (د.ت)، ص15.

[2]- آن لانتدريس: القدس المقاومة الوطنية والتغيير 1967-1994، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس 1995م، (د.ط)، ص32-38.

[3]- صحيفة القدس المقدسية بتاريخ 1968/05/22.

تمكنت من تدمير قسم كبير من شبكات وتجهيزات الشركة وتسجيلها رسميا كشركة إسرائيلية بعد قرار ضم القدس، وصادرت أسهم أمانة القدس العربية البالغة 18,2% من أسهم الشركة، وربط بعض شبكاتها القطرية الإسرائيلية وتدهور أوضاع عمالها المعيشية، إلا أن الإصرار الفلسطيني في مواجهة تصفيتها بقي قويا، وأصدرت العديد من الفعاليات الوطنية، ونقابات العمال والمواطنين بيانات أكدت فيها رفض تصفية الشركة والاستيلاء عليها"[1].

-المظهر الثاني: "تمثل في التصدي لمحاولات إسرائيل السيطرة على المؤسسات الفلسطينية السياسية والدينية والاقتصادية، حيث أعلنت جميع الفعاليات الوطنية والإسلامية رفضها لقرار الحكومة الإسرائيلية ضمّ هذه المؤسسات إلى المؤسسات الإسرائيلية التي أُنشأت حديثا أو التي كانت قائمة، وأكدت تمسكها بالمؤسسات العربية الأردنية التي كانت قائمة قبل الاحتلال، وقامت بإنشاء المزيد من هذه المؤسسات كالهيئة الإسلامية للتصدي لقرار وزارة الأديان الإسرائيلية السيطرة على المقدسات الإسلامية والمسيحية في الضفة والقدس واللجنة العليا للتوجيه الوطني بهدف تشكيل قيادة عمليات مشتركة لتوحيد جهود المقاومة بمختلف أنواعها"[2].

-المظهر الثالث: "تمثل في أسلوب الانتفاضات والمظاهرات والإضرابات واستخدام سلاح البيانات والمنشورات، إلى جانب بعض النشاطات المسلحة حيث شهدت القدس سلسلة طويلة من المظاهرات والإضرابات والصدامات مع قوات الاحتلال، ومن أبرزها الإضراب العام الذي عمّ القدس يوم 1967/08/21، إضافة إلى اضطرابات ومظاهرات يوم الأرض التي تجتاح الأراضي الفلسطينية في كل عام، كما شهدت القدس وبقية الأراضي الفلسطينية انتفاضات متكررة منذ عام 1981 وحتى انتفاضة عام 1987".

[1]- نواف الزرو: القدس بين مخططات تهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، دار الخواجا للنشر، ط1، عمان، 1991م، ص96-97.

[2]- هالة منصور: المقاومة الوطنية في االقدس 1917-1997، مجلة صامد الاقتصادي، العدد110، سنة 1997، ص140-142.

"كما لعبت البيانات والمنشورات التي كانت تصدر عن لجنة التوجيه والهيئة الإسلامية والفصائل الفلسطينية دورا مؤثرا في توعية الفلسطينيين لمواجهة إجراءات الاحتلال في مدينة القدس، إلى جانب بعض النشاطات المسلحة التي تزايدت قوة وتأثيرا بعد الانتفاضة الرئيسية التي اندلعت في كانون الأول عام 1987"[1].

"وشكلت الانتفاضة الأولى التي اندلعت عام 1987 خيارا وآلية جديدة للمقاومة في مواجهة المنادين بضرورة التكيف مع واقع الاحتلال، ونجحت في تنظيم وتعبئة الجماهير وفرض واقعا جديدا في إسرائيل عندما تمكنت من إصابة الأهداف الإسرائيلية بشكل مباشر، ولم تستطع إسرائيل من مواجهتها خاصة في مدينة القدس التي تميزت بالمظاهرات الكبيرة، وترافقت استخدام أسلوب المقاطعة الاقتصادية للبضائع الإسرائيلية والامتناع عن دفع الضرائب، حتى أن تقارير الشرطة الإسرائيلية ذكرت أن 80% من الأحداث التي وقعت داخل الخط الأخضر 1990 كانت في مدينة القدس"[2].

"كانت القدس تشكل الرئة للمقاومة الفلسطينية وعنوانها الحقيقي وذلك من خلال التصدي لمخطط ضمّ القدس وتهويدها، وأصبحت مقرّاً لكل الفعاليات والنشاطات الفلسطينية والمنظمات الاجتماعية والثقافية، وأُسست فيها النقابات المهنية والعمالية ومكاتب الدراسات، وتمّ اختيارها مكانا للمؤتمرات الصحفية، حتى أصبحت مقرا لأكبر تجمع للصحافة العالمية، ومركزا لأكثر من خمسة صحف يومية وأربع مجلات شهرية مما أعطى المدينة ومواطنيها حرية أكبر للحركة والمناورة والاستفادة من هامش الحرية التي منحت لها"[3].

ويرى الدكتور (زياد أبو عمرو) وزير الثقافة الفلسطيني الأسبق وأحد المثقفين الفلسطينيين، أن مثقفي القدس ساعدوا على استمرار الانتفاضة، كما ساعدتهم الانتفاضة على تحديد توجهاتهم السياسية وضبط سرعة حركتهم ونشاطهم وكتاباتهم، ويضيف إن المثقفين والشخصيات الفلسطينية صاحبة النشاط

---

[1]- نواف الزرو ، القدس بين مخططات تهويد الصهيونية و مسيرة النضال و التصدي الفلسطيني ص 94 .

[2]- أحمد الكايد: القدس في خضمّ الانتفاضة الشعبية، خلفيات وأبعاد، مجلة صامد الاقتصادي، العدد 85، 1991م، ص67.

[3]-- آن لانتدريس، القدس المقاومة الوطنية والتغيير (1967-1994) ، ص48.

الإعلامي في القدس، لعبوا دورا هاما في الانتفاضة لأنهم كانوا يمتلكون حرية زائدة في متابعة نشاطهم السياسي أكثر من أقرانهم في الضفة والقطاع، الخاضعين للحكم العسكري الإسرائيلي.

كما أنهم استمدوا قوة إضافة من خلفياتهم الاجتماعية، ومن استنادهم إلى مؤسسات شرعية ظلت بمنأى عن إجراءات القمع الفلسطيني إلى حد ما، كالغرف التجارية ورابطة الصحافيين، ومن خلال صِلاتهم بالقيادة الموحدة وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الوقت نفسه.[1]

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كانت القدس علامة بارزة في وحدة المقاومة بين المسيحيين والمسلمين، حيث جاءت المقاومة نتيجة لامتزاج العوامل والمشاعر الدينية بالوطنية واستقواء كل منهما بالآخر، حتى وصل التضامن المسيحي الإسلامي في المدينة المقدسة إلى ذروته، وقد ظهر هذا التضامن في مواسم الأعياد الدينية التي تحولت إلى مواسم ومناسبات للحداد والتحدي، كما حدث ليلة اعتقال المطران (هيلاريون كابوتشي) بتارخ 1974/08/18، حين قاد المسلمون انتفاضة واسعة أدت إلى وقوع 13 شهيدا وأكثر من 300 جريح، حتى أن أحد الصحفيين شبه المدينة المقدسة في تلك الليلة بمدينة (بلفاست) في إيرلندا الشمالية من شدة أعمال العنف التي جرت فيها.[2]

"وعلى الرغم من ذلك، فإن مظهر المقاومة في مرحلة 1967-1987، حيث أن الانتفاضة لم تحقق أهدافها التي اندلعت من أجلها، أو كالتي كان يأمل الفلسطينيون تحقيقها لأسباب عديدة كان من أهمها الظروف الإقليمية والدولية التي رافقت سنوات الانتفاضة، خاصة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي واندلاع حرب الخليج الثانية، والصراعات الفلسطينية الداخلية بين الفصائل المختلفة، وتوجه تيار كبير داخل منظمة التحرير الفلسطينية نحو التسوية السياسية، وأخيرا توقيع اتفاقية (أوسلو) التي أطفئت لهيب

1-2ينظر، أحمد الكايد ،القدس في خضم الانتفاضة الشعبية،خلفيات وأبعاد ،مجلة صامد الاقتصادي ،العدد1991،85،ص67-72-73.

الانتفاضة، وساهمت بتراجع حماس الحركة الوطنية الفلسطينية، خشية من تكرار الوقوع في أخطاء الماضي، ورفض مشاريع التسوية والفرص الضائعة"[1].

[1]- عادل محمد العضايلة، القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام ، ص64-65.

الفصل الثاني: غسان كنفاني وروايته

المبحث الأول: ترجمة لحياة الكاتب.

المبحث الثاني: تقديم عام لرواية (رجال في الشمس).

المبحث الثالث: دراسة تحليلية للرواية.

الفصل الثاني: غسان كنفاني وروايته

المبحث الأول: ترجمة لحياة الكاتب:

1-مولده ونسبه ونشأته:

"شهيد،أديب، مناضل، باحث، روائي، إعلامي (1355-1392هـ) (1936-1972م).

وُلد غسان كنفاني في مدينة عكا عام 1936، تلقّى دراسته الابتدائيّة في مدرسة الفرير في مدينة يافا، حيث كان يعمل والده محامياً، وبعد نكبة عام 1948 وسقوط مدينة عكا في 1948/05/16 لجأت عائلته إلى لبنان ثم انتقلت إلى سوريا حيث استقرت في مدينة دمشق"[1].

وإذا كان من قبيل المصادفة التي لا يختارها الإنسان أن يولد بمكان بالذات وفي التاريخ بعينه، فإن هذه المصادفة في غالب الأحيان تساهم في تشكيل وعيه وخطواته في المستقبل، وعكا اشتهرت قلعتها الحصينة والمطلّة على مياه البحر الأبيض المتوسط.

وفي تاريخنا العربي ترتبط عكا بالمناعة، فعند أسوارها تكسرت جيوش الغزاة، ولكن غسان في الثانية عشر، شهد سقوط عكا.

وحين كانت والدة غسان حبلى في شهرها الرابع اكتشف البريطانيون مكمن الشيخ (عز الدين القسام) وجماعته الذين كانوا ينظمون الخلايا السرية من الفلاحين وفقراء فلسطين

للكفاح المسلح ضد الاستعمار.

[1]- محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين من القرن السابع حتى القرن الحادي والعشرين ميلادي، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزء الخامس، (د.ط) (د.ت) ص451.

أطلق الشيخ القسام صرخته (موت الشهداء) وكان استشهاده وصحبه في نوفمبر 1935 مقدمة لانفجار الثورة الشعبية مع الشهور الأولى للعام التالي.في 9 أفريل ولد غسان كنفاني بعدها بعشرة أيام.[1]

لم يكن غسان قد أكمل عامه الثاني عشر حين زحفت قوات الصهيونية على مدينة عكا في مارس 1948، وخرجت الأسرة كما خرجت آلاف الأسر الفلسطينية من أرض الوطن إلى المنفى.

وفي التاسع من أبريل التالي يوم عيد ميلاده الثاني عشر، وقعت مذبحة دير ياسين حيث قام رجال عصابتي (الأرجون) و(شترين) الصهيونيتين بالهجوم على القرية وذبح معظم سكانها، وبلغ مجمل الضحايا 250 قتيلا.

كان ترك فلسطين معناه انتقال أسرة كنفاني من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى، فكان الأب محامياً في عكا ثم توقف عن العمل بعد النزوح، فأصبح غسان وإخوته في تلك الفترة على حدّ قوله من (البروليتاريا الرثة).

بدأوا يقومون بأشغال مختلفة هنا وهناك لكي يعولوا الأسرة ويكملوا تعليمهم، وكان من الطبيعي أن يتجه غسان كما يتجه غالبية الفلسطينيين إلى الاهتمام بالسياسة. يقول: "اتّجهت نحو السياسة في مرحلة مبكّرة لأننا كنا نعيش في المخيّم".

[1]- ينظر، رضوى عاشور، الطريق إلى الخيمة الأخرى، دراسة في أعمال غسان كنفاني، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2، 1981، 17-18.

فالسياسة هناك ليست مجرّد عناوين تُقرأ في الجريدة الصباحية، بل أحداث تتحكم في أن يكون الفلسطيني في داره بعكّا اليوم، وفي لبنان أو سوريا في اليوم التالي، وفي المنفى أيضاً تعلم غسّان العلاقة الوثيقة بين القضية الوطنية والقضية الطبقية.[1]

في بداية الخمسينيات التقى غسان بالدكتور (جورج حيش) وانضمّ إلى حركة القوميّين العرب والتي كانت حركة مناهضة للاستعمار، وفي عام 1956 نشر قصته الأولى في جريدة الرأي الناطقة باسم الحركة قصة (شمس جديدة).

وفي العام نفسه سافر غسان إلى الكويت لكي يعمل مدرّساً للرسم والألعاب الرياضية، وهناك عرف المنفى في شكل جديد، وحشة الغريب واغتراب المحاصر وعطش المرء النفسي في صحراء لا يجد فيها حتى من يتواصل معه ويسر له بحاجته.[2]

"انتقل إلى بيروت عام 1960، حيث عمل محرّراً وأديباً لجريدة (الحرية) الأسبوعية، ثم أصبح عام 1963 رئيساً لتحرير جريدة (المحرّر)، كما عمل في (الأنوار) و(الحوادث) حتى عام 1969 حين أسس جريدة (الهدف) الأسبوعية، وبقي رئيساً لتحريرها"[3].

وفي سنة 1969 تولى رئاسة تحرير مجلة (الهدف) التي أصدرتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (الجناح العسكري لحركة القوميين العرب)، وانتُخب عضواً في المكتب السياسي للجبهة، وناطقاً رسمياً باسمها ومسؤولاً عن النشاط الإعلامي، وشارك بوضع البيان السياسي للجبهة المعروف باسم (برنامج آب 1969)"[4].

---

(1) (2) ينظر، رضوى عاشور، الطريق إلى الخيمة الأخرى، ص20-21.

3- غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص7.

4- محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ص452.

كان غسان كنفاني يدرّس، يحاضر قوميا وفلسطينيا، ويكتب المجلة، ويدقق طباعتها، ويشرف على مسابقات النادي الثقافي القومي الأدبي، وجرّاء الإعياء النفسي والجسدي أصيب غسان بمرض السكري وأدخل المستشفى لسوء حالته، وأخضع لنظام دقيق، لكنه استمر عاملاً في كل الاتجاهات المتاحة متحدّياً المرض، ومصرّاً على متابعة المسيرة حتى استشهاده.

وحينما أصابه مرض السكر كتب في إحدى رسائله الشخصية: "في الثانية عشر من عمري، عندما بدأت أتحسّس معنى الحياة، قذفتني الحياة لاجئاً مشرّداً خارج وطني، والآن عندما أخذت أتحسس طريقي يأتي السيد (مرض السكري) ويريد بكل بساطة، كل وقاحة أن يقتلني، هل عليّ أن أسلم مع (سارتر) وأقول: الإنسان عاطفة غير مجدية، متى؟ الآن عندما بدأت أقتنع بأن من الممكن أن تكون الحياة مجدية"[1].

2-تعليمه:

"أتمّ دراسته الإعدادية في دمشق، وفي عام 1953 عمل مدرّساً في إحدى المدارس الإبتدائية الخاصة باللاجئين في سوريا"[2].

"وحيث كان يطالع يومياً المصير الذي آل إليه شعبه، ويعي بنفسه فأكثر ما وقع ويقع"[3].

وهكذا كانت حياة المنفى والمعاناة في المخيم والشعور بالأسى واليأس أمام عدو احتل الأرض بسهولة، إلا أن هذه الشّدة لم تضعف من عزيمة غسان ولم تصرفه عن مواصلة دراسته، بل ساعده العمل كمعلّم على إتمام المرحلة الثانوية حتى تحصّل على البكالوريا، وانتسب بعد ذلك

[1]- ينظر، محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين ، ص452.

[2]- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني (جماليات السرد في الخطاب الروائي) دار مجدلاوي، الأردن، ط1، ص12.

[3]- حيدر توفيق بيضون، غسان كنفاني (الكلمة والجرح) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص12.

إلى جامعة دمشق في قسم الأدب العربي، حيث قضى ثلاث سنوات فصل بعدها لأسباب سياسية.

سافر بعدها إلى الكويت عام 1956 ليعمل مدرّساً لمادتي الرسم والرياضة، قضى بها أربع سنوات تُعدّ من أخصب الفترات التي عمّقت ثقافته باطّلاعه على أعمال كارل ماركس وانجلز ولينين.

وفي عام 1960 عاد إلى بيروت للانضمام إلى هيئة التحرير في مجلة (الحرية). كتب غسان كنفاني في كلّ ألوان الصحافة، من افتتاحيات وخواطر إنسانية وعن المعارك السياسية، كماعُرف بأدب المقاومة في الأرض المحتلة.

حضر العديد من المؤتمرات الأدبية والصحفية منها مؤتمر (الكُتّاب الآسيويين والإفريقيين) الذي عُقد بالقاهرة سنة 1966.[1]

لم تقتصر سيرة كنفاي على جانب واحد من جوانب الحياة، وإنما كانت حافلة بالنشاطات العلمية والأدبية والسياسية، ففي مجال دراسته امتاز بتنقلاته بين دمشق والكويت وبيروت، فبعد أن درس الإبتدائية والقانوية وتفوّق بهما، سنحت له الفرصة للتدريس في مدارس اللاجئين.

كل هذه النشاطات جعلت من غسان محرّراً ومفكّراً وناشطاً للقضية الفلسطينية، فذاع صيته بين الأوساط الثقافية، ولم يتوقّف كنفاني عن الكتابة لحظة واحدة، حتى بعد أن تغيّرت مجريات حياته بعد الزواج، لذلك نجده يحاول بشتّى الطرق إيصال القضية الفلسطينية إلى العالم أجمع، فكان يحارب في عدة جبهات، جبهة المعارضين وجبهة المرض الذي ألمّ به، فبعد أن تضاعف مرض

[1]- ينظر: صحيفة عودة زعرب، غسان كنفاني، ص12-15.

السكري واستفحل، ظهرت عليه أعراض مرض النّقرس، الذي يؤدي بصاحبه إلى الرقود، غير أنه لم يستسلم لمرضه فزاد نشاطه الإعلامي وقدرته على العمل.[1]

لقد كان هذا القرار الذي اتخذه غسان كنفاني حين طلب من الأطفال الفلسطينيين أن يرسموا المخيّم قراراً محوريّاً في حياته، وبصرف النظر عن وعيه في هذه السن المبكرة بالمعنى الكامل لهذا الاختيار، إلا أنّ الاختيار يظلّ قائماً.

لقد اختار غسان ولم يتجاوز العقد الثاني من عمره أن يرفض الفصل التعسّفي بين الإنسان والمدرس والطفل والتلميذ. الفصل بين الوطن والتعليم والحياة والفنّ. كان في اختياره وعي بأن تجزئة الإنسان تعني غربته واغترابه.

"وفي المنفى أيضاً تعلّم غسان العلاقة الوثيقة بين القضية الوطنيو والقضية الطبقية، ولقد عمل في سنّ مبكرة مدرّساً للأطفال بأحد المخيمات الفلسطينية. يقول: وعندما باشرت التدريس، واجهت مصاعب جمّة مع الأطفال الذين درّستهم في المخيم، فقد كنت أغضب دائما لدى مشاهدتي طفلاً نائماً أثناء الصف.

وببساطة اكتشفت السبب، لقد كان هؤلاء الأولاد يعملون بالليل، يبيعون الحلوى أو العلكة أو ما شابه في دور السينما والطرقات، وبالطبع كانوا يأتون إلى الصف وهم في غاية التعب. إن حالة كهذه تقود الإنسان فوراً إلى جذور المشكلة ... فقد تبيّن لي أن نوم الطفل ليس ناجماً عن استخفافه بي أو عن كرهه للعلم، كما لم يكن للأمر علاقة بكرامتي كمعلم، بل كان مجرّد انعكاس لمشكلة سياسية"[2]

---

[1]- أحمد هاشم السمراني، استنطاق المجهول، قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، (د.ن)(د.ط)(د.ت)، ص5-6.

[2]- رضوى عاشور، الطريق إلى الخيمة الأخرى، ص22.

3-آثاره:

بما أن شخصية غسان كانت ذات موهبة فياضة، وذات أوجه متعددة تنوعت عطاءاته وإنتاجاته في الأدب والنقد والفن، والثقافة والسياسة، وأثرى المكتبة العربية إثراء يقلّ نظيره. إنه ملأ صفحات الصحف بقلمه السيّال وأخرج روايات رائعة ممتازة، وكتب القصص المثيرة، وأعدّ بحوثاً ودراسات قيمة، وأصدر مسرحيات جديرة بالتمثيل على خشبة المسرح أُلّفت مرات عدة.[1]

ترك غسان كنفاني كمّاً هائلاً من المقالات الأدبية والسياسية والدراسات النقدية المبعثرة في الدوريات فضلاً عن المؤلفات الأدبية.[2]

وفي هذا الصدد يقول غسان: "في البداية، كنت أكتب عن فلسطين كقضية قائمة بحدّ ذاتها، عن الأطفال الفلسطينيين، عن الإنسان الفلسطيني، عن آمال الفلسطينيين بحدّ ذاتها، كأشياء منفصلة عن عالمنا هذا مستدلّة وقائمة بذاتها كوقائع فلسطينية محضة.

ثم تبيّن لي أن أصبحت أرى في فلسطين رمزاً إنسانياً متكاملاً، فأنا عندما أكتب عن عائلة فلسطينية، فإنما أكتب في الواقع عن تجربة إنسانية، ولا توجد حادثة في العالم غير متمثّلة في المأساة الفلسطينية، وعندما أصوّر بؤس الفلسطينيين فأنا في الحقيقة أستعرض الفلسطيني كرمز للبؤس في العالم أجمع"[3].

فلسطين هي الهاجس الذي استحوذ على غسان كنفاني، فكلّ حركة من حركاته أو كلمة تصدر عنه أو فكرة تخطر بعقله كان مرجعها إلى فلسطين، جسّد ذلك في سيرته في كتاباته،

1- عبد الله أبو راشد، المسرح في عالم غسان كنفاني، جريدة الأسبوع الأدبي، اتحاد كتاب العرب بدمشق، السنة السادسة والعشرون، 2012، ص03.

2- غسان كنفاني، عائد إلى حيفا، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط2، 2004، ص8.

3- رضوى عاشور، الطريق إلى الخيمة الأخرى، ص28.

فإنتاجه الأدبي والفنيّ يعبر عن ذلك، فإنه النضال المستمر من أجل فلسطين الذي يؤدي إلى نتيجة، إما للشهادة أو النصر والفتح المبين، وكان لغسّان الشهادة وما أحلاها حينما تكون بيد العصابة الصهيونية المجرمة المغتصبة لأرضنا المقدسة.

نال عام 1966 جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان عن رواية (ما تبقّى لكم). نال اسمه جائزة منظمة الصحفيين العالمية سنة 1974، وجائزة اللوتس 1975. منح اسمه وسام القدس للثقافة والفنون عام 1990.

أ)الروايات:

- رجال في الشمس، بيروت 1963.
- ما تبقّى لكم، بيروت 1966.
- أم سعد، بيروت 1969.
- عائد إلى حيفا، بيروت 1969.
- الشيء الآخر، بيروت.
- العاشق.
- برقوق نيسان.
- سقوط الجليل، من قتلى ليلى الحايك.

ب)المجموعات القصصية:

- موت سرير رقم 12، بيروت 1961.
- أرض البرتقال الحزين، بيروت 1963.
- علم ليس لنا، بيروت 1970.

- عن رجال البنادق، بيروت 1968.
- المدافع، عكا، الأسوار، 1978.
- القميص المسروق وقصص أخرى.

ج)المسرحيات:

- جسر إلى الأبد.
- الباب ومسرحيات أخرى، بيروت 1974.
- القبعة والنبي.[1]

د)دراسات:

- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1968، بيروت 1966.
- الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، بيروت 1968.
- في الأدب الصهيوني، بيروت 1968.
- المنظمة الاشتراكية الإسرائيلية ماتسبن، بيروت، دار منيمة.
- ثورة فلسطين 1936-1939 في فلسطين، خلفيات وتفاصيل وتحاليل.
- العرب والدين في الأدب الصهيوني.

تُرجمت قصصه إلى لغات عديدة منها (مجموعة قصص عربية)، ترجمها إلى الإنجليزية المستشرق البريطاني (دنيس جونسون ديفيز). وفي عدادها قصة بقلم غسان كنفاني. ت

ولى الاتحاد العام للكُتّاب والصحفيين الفلسطينيين إعادة طبع آثاره ، ونشر ما لم يُنشر منها،

[1]- محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ص452-453.

وصدرت في عدة مجلّدات تحت عنوان (الآثار الكاملة – غسان كنفاني).[2]

3- وفاته:

أن يكون الإنسان مثقفاً ثوريا صلباً، وأن يكون مناضلاً بالكلمة والسلاح، هو أن تبدأ الإمبريالية في محاولات التخلص منه، ولقد كان. ودقّت آلات التيكرز تنقل لكلّ العواصم خبر مقتل غسان كنفاني على يد عملاء إسرائيل والإمبريالية.

وفي صباح الثامن من يوليو 1972 نزل غسان من بيته مع ابنة أخته لميس وركب سيارته، وحين أدار محرك السيارة انفجرت السيارة، حيث كان المجرمون قد وضعوا بها خمسة كيلو غرامات من الديناميت، بالإضافة إلى قنبلة من البلاستيك.

تقول زوجته: "بعد دقيقتين من مغادرة غسان ولميس للبيت سمعنا انفجاراً رهيباً ... تحطّمت كلّ نوافذ البيت، نزلت السلم راكضةً لكي أجد البقايا المحترقة لسيارتنا الصغيرة ... وجدنا لميس على بضعة أمتار ... ولم نجد غسّان، ناديت عليه، ثم اكتشفت ساقه اليسرى ... وقفت بلا حراك في حين أخذ فايز يدقّ رأسه بالحائط وليلى ابنتنا تصرخ: بابا، بابا".

أرادوا مقتله عقاباً صارماً لكل من يجرؤ أن يكون ثائراً معطاءاً، فلقد صار غسان شهيداً، وفي بيروت حيث استشهد خرجت الجماهير الفلسطينية واللبنانية في جنازة احتفالية مهيبة، أطلقوا الرصاص وغنوا أهازيج الثورة والانبعاث. عشرات الآلاف من سكان المخيمات والعمال والفلاحين والمثقفين ورجال المقاومة.

[2]- محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ص453.

*المبحث الثاني: تقديم عام لرواية (رجال في الشمس):

1-دافع كتابة هذه الرواية:

كتب غسان كنفاني هذه الرواية عام 1963، حيث تمّ تمثيل الإنسان الفلسطيني الذي يبحث عن العيش وتغيير الواقع الأليم بعد هزيمة 48 ممثلين بثلاثة أشخاص (أبو قيس، أسعد، مروان). ثلاثة رجال من أعمار مختلفة عقدوا العزم على الذهاب إلى الكويت عن طريق البصرة العراقية، ولأنهم لا يستطيعون دخول الكويت بطريقة مشروعة، فقد آثروا دخولها عبر الاتفاق مع المهرّبين.

وهنا تظهر الشخصية الفلسطينية الرابعة (أبو الخيزران) الذي يعمل مهرّباً عبر الحدود العراقية الكويتية، وتتم الصفقة بتهريب الرجال الثلاثة عبر خزان ماء فارغ، لكن القدر كان لهم بالمرصاد، فقد مات الرجال الثلاثة خنقاً دون أن يدقّوا الخزان، فيلقي بهم أبو الخيزران على مزبلة من مزابل الكويت.

(رجال في الشمس) الرواية الأولى للكاتب، هي أول عمل فلسطيني يثير ضجّة كبيرة على صعيد النقد والأدب والجمهور، وتنال استحساناً لم يسبقها إليه عمل روائي فلسطيني.

(فضل النقيب) يصف ظهورها قائلاً: "فجأة تظهر (رجال في الشمس) بشكل غير عادي، يكتب عنها النقاد ويتحدث عنها القرّاء بإعجاب متزايد، والكل يؤكّد أنها عمل أدبي ممتاز، م إن تبدأ بقراءة كلماتها الأولى حتى تملك عليك نفسك وأحاسيسك، ولا تتركك إلا مع كلماتها الأخيرة"[1].

(1) أبو مطر أحمد عطية، الرواية في الأدب الفلسطيني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، (د.ط)، ص16.

غسان في هذه الرواية يعطينا الواقع الفلسطين كما هو دون أن يعمد إلى إعادة ترتيبه، إلا أن تساؤله الأخير يعني ضرورة البدء بإعادة ترتيب هذا الواقع عن طريق الثورة عليه.[1]

"إن القضية التي تشغل كُتّاب الرواية الفلسطينية محورية وأساسية ووحيدة، وهو أمر لا يحتاج إلى تبرير أو تفسير، إن فلسطين هي الموضوع وهي القضية، وهي البداية والنهاية والدافع إلى الكتابة وهي الغاية منها.

وقصة (رجال في الشمس) هي قصة الشعب الفلسطيني، وليست قصة شخصية أو أكثر، قصة شعب بأكمله قاسى الذلّ والضياع والحرمان والظلم، شعب مجهول الهوية لا يعرف إلى أين يسير في هذه الدنيا الواسعة، بعد أن تكالبت عليه القوى الاستعمارية والعربية، ولم تسلبه أرضه فقط، وإنما سلبته حقّ الحياة الكريمة منذ النكبة الأولى 1948.

ولعلّ أهم ما يشد انتباه المتلقي هذه الغرابة في العنوان، فهو يحمل معاني عديدة، والقصة تصوير حيّ وصادق لقصة اللجوء الفلسطيني، بما يصاحب ذلك من ذلّ ومرارة وجوع لجميع الأجيال الفلسطينية التي تقع تحت وطأة التشرد والضياع، تعاني من الغربة وفقدان الهوية، تسعى من أجل لقمة العيش، من أجل أن تجد لها مكاناً تحت الشمس.

فكانت هذه القصة تعبيراً عن إرادة الفعل الفلسطيني، قبل أن يتكامل هذا الفعل في إطار سياسي، وهي بهذا المعنى أحد وأهمّ المعالم الأدبية البارزة التي قدمت صورة عن التحول الفلسطيني في مرحلة ما قبل نكسة حزيران 1967"[2].

[1]- أبو مطر أحمد عطية، الرواية في الأدب الفلسطيني، ص16.

[2]- محمد فؤاد السلطان، قصة رجال في الشمس لغسان كنفاني، دراسة نقدية، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، يونيو 2007، ص2.

ونكتفي بنموذج من النص: "أبو القيس يحدث نفسه: في السنوات العشر الماضية لم تفعل شيئاً سوى أن تنتظر ... لقد احتجبت إلى عشر سنوات كبيرة وجائعة كي تصدق أنك فقدت شجراتك وبيتك وشبابك وقريتك كلها. وفي مقتبس آخر تقول زوجة أبو القيس تخاطبه: أتعجبك هذه الحياة هنا؟ لقد مرّت عشر سنوات وأنت تعيش كالشّحاذ" [1].

فغسان يوافق تطور أحوال الفلسطينيين المشردين المنكوبين، الذين مزقوا خيام التشرد. وتوضح الرواية لنا شخصية أبي القيس تجسيداً نموذجياً لحالة فلسطينية عمّت المجتمع الذي عرض عليه النزوح، شخصية تحمل اطلاعنا على ذكريات الماضي الطيّب الكريم، منهولة أمام حاضر شرس، افتقدت فيه القيمة الأصلية للانتماء بفقدان الوطن، ومع فقده انسبت من كيانهاكلّ مقوّمات المدافعة والمواصلة والكفاح.

شخصبة بائسة تريد الفعل ولكن القوى الخارجية أقوى من إرادتها، تحاول معالجة الحاضر، وقد تهيّأ لها أن الفقر والبؤس هما عدوّاها. ولا تعي أن المعالجة الحقيقية لن تكون إلا بالقضاء على مسبباته، وعلة هذا الحاضر التعيس وفقدان الوعي بجذور مكونات حالتها هو من مخلفات المرحلة التاريخية التي عاشها، والتي ترزح تحت جهل مطبق بأهم ما يجري من حولها من أمور.

مما سينتهي بها حتماً إلى هذا المصير، وتغيير هذا التراكم من الجهل ويحتاج إلى جهود أفكار مستنيرة قادرة على كشف الحقائق وإزاحة الظلمات. ومن خلال حياة شخصيات الرواية، تظهر المميزات البارزة في الحالة الفلسطينية لتلك المرحلة، فكلّها تعاني من البؤس، الضياع، الغربة، الحاجة حتى الضروريات (اللقمة والسكن)، الإحساس بالذل والبحث اليائس عن الخلاصة.

[1]- غسان كنفاني، رجال في الشمس، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، ط3، 1986، ص25.

وهذه الصفات المتآزرة ستنتهي بها إلى الانهيار السلوكي وبالتالي الانهيار الوطني، لأن الطرق التي ستسلكها الشخصيات تمثّل واقعاً حيّاً نموذجيّاً يبلغ حدّ التاريخ لفترة زمنية معينة عاشها الشعب الفلسطيني بعد النكبة.

واستغراقها التام في نموذجيتها ينأى بها عن أي تأويل رمزي، ومن ذلك نلخص إلى أن الواقع المفعم بأوضاعه المتردّية بؤساً وألماً وحاجة، قد طغى بحضوره المؤثر وأكد بعمق واقع الشخصيات الخالصة.[1]

(رجال في الشمس) هي الصراخ السرعي المفقود، إنها الصوت الفلسطيني الذي ضاع طويلاً في خيام التشرد واللجوء الذي يختنق داخل عربة يقودها شخص هزم مرة أولى، وسيقود الجميع إلى الموت.

وهي كقصة لا تدّعي التعبير عن الواقع الفلسطيني المعاش في علاقاته المتشابكة، إنها إطار رمزي لعلاقات متعددة، تتمحور حول الموت الفلسطيني، وحول ضرورة الخروج منه باتجاه اكتشاف الفعل التاريخي، أو البحث عن هذا الفعل.

يدين فيها حالات الخلاص الفردي الغير الملتحمة بالجماهير، لأن مصيرها الفشل الذريع والموت في صحراء لا حياة فيها، بعد أن تقطّعت بهم الأسباب والسبل كنتيجة واضحة للاحتلال، ولهذا قرروا أن يهربوا إلى بلاد أخرى غير بلادهم جرياً وراء السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا ما وصله، وجد عنده الحق الذي غاب عن عينيه، والسبب أنه ظمآن حتى الموت.[2]

2-شخصيات الرواية:

[1]- ينظر: فاطمة علي، فلسطين في نظرة الكاتب الشهيد غسان كنفاني (رجال في الشمس)، دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، 1394هـ ، العدد السادس والعشرون، ص14.

[2]- محمد فؤاد السلطان، قصة رجال في الشمس لغسان كنفاني، ص3.

الشخصية: "أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية"[1].

أما مفهوم الشخصية عند (رولان بارث) فهي: "ناتج تركيبي يمكن أن يتكون من مجموعة من السمات التي تتكرر فتكون تركيبة قادرة أو تركيبة معقدة عندما تصمّ علامات متناسقة أو متنافرة، وهذا التعقيد أو التعدد هو ما يحدّد شخصية الشخصية"[2].

فالشخصية "عالم معقّد شديد التركيب، متعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية"[3].

والشخص عند السيميائيين "كائن حيّ واقعيّ له إحالة ودلالة في الواقع، أما الشخصية فهي ما يحله الشخص من تخيل وتصوّر عن طبيعة الشخصية التي يُناط بها دور من الأدوار في القصة"[4].

ومن الملاحظ أن العالم الروائي او القصصي المبدع غسان كنفاني عالم رحب يحتاج إلى العديد من الدراسات لاستكشاف جوانب الإبداع، لذلك الفنان الرائد الذي سطع نجمه في عالم القصة والرواية، وفي هذه الإطلالة نحاول إظهار الشخصيات التي رسمها غسان ألا وهي:

-الشخصيات الرئيسية:

1- أبوقيس: هو أول الشخصيات التي تعرضها الرواية، رجل فقد بيته وشجرات الزيتون التي

يملكها وأصبح يعيش مع زوجته الحامل وابنه الصغير في المخيمات، لايجرؤ على التفكير في السفر للكويت حيث سافر الكثيرون وغادروا بالأموال التي حققوا بها أحلامهم الخاصة.

---

[1]- مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (د.ط)، 1974، ص65.

[2]- خليفة ياهوري، بناء الشخصية في القصة القصيرة، laghtir.com، ص2.

[3]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (د.ط)، 1998، ص83.

[4]- سامي السويدان، في دلالية القصص وشعرية السرد، دار الآداب، بيروت، (د.ط) (د.ت)، ص76.

(أبوقيس) شديد الارتباط بوطنه يحلم بعودة ما كان، لكنه لا يعرف كيف يمكن أن تحدث هذه العودة بعد ضياع كل شيء ...

(أبو قيس) رجل عجوز يخرج مضطرّاً ولا يأمل كثيرا في النجاح أو العودة الظافرة، لكنه يستجيب للضغط الذي يمارسه عليه أحد العائدين الأغنياء وحالة الفقر المدقع الذي يعانيها هو وأسرته.

فيودع زوجته وابنه ويسافر إلى العراق محاولا أن يجد فرصة ليهرب عبر الحدود العراقية الكويتية من البصرة إلى الكويت ليحصل على النقود التي يبني بها بيتا ويشتري شجرات زيتون جديدة.

2- أسعد: (أسعد) شاب مناضل تطارده السلطات بسبب نشاطه السياسي، لكن يحاول الهرب إلى العراق بمساعدة أحد أصدقاء والده القدامى، ذلك الصديق الذي يسلبه عشرين دينارا ويتركه في منتصف الطريق واعدا إياه بشرفه أن يقابله بعد المرور على نقطة التفتيش ولا يفي بوعده.

فيفقد أسعد ثقته في البشر جميعا، لكنه يستطيع الوصول إلى العراق مصمما على عبور الحدود إلى الكويت ليستطيع أن يكوّن ثروة يرد بها الخمسين دينارا التي أقرضها له عمه ليبدأ بها حاته ويتزوج ابنة عمه التي لا يحبها لكنها خطبت له يوم مولدهما.

3- مروان: هو فتى في المرحلة الثانوية، يضطر لترك المدرسة والذهاب إلى البصرة ليدخل منها إلى الكويت بمساعدة المهربين، حتى يعمل على أمه وإخوته الصغار، أخو مروان يعمل بالكويت، وقد تزوج وكان يرسل إلى الأسرة ما يكفيها، لكنه تزوج وتوقف عن إرسال نقود، بل أرسل رسالة إلى مروان يقول له فيها: لا أعرف معنى أن أظل أنا أعمل وأنفق على الأسرة، بينما تذهب أنت إلى المدرسة السخيفة التي لا تعلّم شيئا.

أما أباه فقد ترك عائلته وتزوج امرأة معاقة لديها بيت جميل، فترك المدرسة وبسبب توقف النقود يقبل والد مروان على الزواج من فتاة فقدت ساقها بسبب قنبلة في غارة يهودية، لأنها تملك داراً من ثلاث حجرات بسقف إسمنتي، فيهرب بذلك من مسؤولية أسرته، ويحقق حلمه بالحياة في بيت له سقف بدلاً من خيام اللاجئين، ويؤجر حجرتين ويسكن هو وزوجته الجديدة في الحجرة الثالثة.

4- أبو الخيزران: يرفض الثلاثة التعامل مع المهرب المحترف الذي يصرّ على أخذ خمسة عشر ديناراً ومقدماً من كل فرد، لأنهم يعرفون أن الدليل يمكن أن يتركهم في منتصف الطريق ويهرب، ويلتقون بالشخصية الرئيسية الرابعة في الرواية (أبو الخيزران) وهو مهرب يعمل مع تاجر كويتي كبير اسمه (الحاج رضا).

يقبل (أبو الخيزران) أن يهربهم مقابل عشر دنانير من كل منهم بعد الوصول إلى الكويت في سيارة الحاج رضا التي لا تفتش لأن جميع رجال الحدود يعرفون الحاج رضا، وهم أصدقاء السائق نفسه.

أبو الخيزران سائق ماهر، عمل في الجيش البريطاني، وعمل مع الفدائيين فأصيب بقنبلة أفقدته رجولته وأعطته كل مرارة العالم فكره نفسه، وجعل كل طموحه في تكوين ثروة يعيش بها في هدوء وسكون بعد عمر من الحركة التي لا تهدأ.

كان يشعر أنه فقد أهمّ شيء في حياة الرجل من أجل الوطن، لكن الوطن لم يرجع، ورجولته فُقدت للأب. أما السيارة فهي سيارة نقل مياه قديمة متهالكة، وبها خزّان ضخم فارغ هو ما سيختفي فيه أبطال الرواية الثلاثة ليعبروا نقطتي الحدود العراقية والكويتية.

لقد برع غسان كنفاني في إبراز العلاقة الوثيقة بين القارئ وأبطال الرواية، حتى خُيّل أن الرجال الثلاثة على علاقة مودّة مع القارئ، فالأسلوب الذي استخدمه الراوي، أسلوب يشدّ القارئ، فما أن ينتهي من حدث حتى يكون في شوق إلى متابعة الحدث الذي يليه، إلى أن تنتهي أحداث الرواية مغلقاً شخصيات الرواية بدلالات رمزية تُفهم من خلال دراسة الواقع الفلسطيني بعد أحداث 1948م.

-الشخصيات الثانوية:

أبو العبد، والد مروان، شفيقة، إخوة مروان (مي، رياض، سلمى، حسن)، حسناء، الحاج رضا، أبو باقر، الإنجليزي وزوجته.

3- ملخص عام للرواية:

تناولت رواية (رجال في الشمس) لغسان كنفاني سبعة فصول أوجزها في مضمون عام لشخصيات ثلاثة مثلتها في كل فصل:

-الفصل الأول: تجسّدت في شخصية أبي القيس.

-الفصل الثاني: تجسدت فيه شخصية أسعد.

-الفصل الثالث: تجسدت فيه شخصية مروان.

-الفصل الرابع: (الصفقة)، حيث يجتمع الثلاثة (أبو القيس وأسعد ومروان) مع أبي الخيزران، وتوكل مهمة التفاوض مع أبي الخيزران إلى أسعد لعدم خبرة أبي القيس، وأما مروان فهي تجربته الأولى. أما أسعد فإنه عتيق في الصنعة، يتمّ الاتفاق على دفع عشرة دنانير عن كل فرد.

والفصل يُظهر مهارة أبي الخيزران في القيادة، فهو الذي حرّك آلية عسكرية إسرائيلية معطّلة، وهو الذي استطاع الوصول بسلام دون أي عطل في سيارته في قافلة الحاج رضا الذي كان يعمل عنده.

-الفصل الخامس: (الطريق)، يصعد الشبان الثلاثة إلى سيارة أبي الخيزران والشمس تصبّ لهيبها عليهم، ولكن حركة السيارة تخفف قليلا من حدّة الحرّ، وأبو الخيزران ترتسم على مخيلته مأساته عندما فقد رجولته، ولكنه يعزّي نفسه بأنها أرحم من الموت.

يقترب أبو الخيزران، ينجز معاملة الدخول في ستّ دقائق مغادراً مركز الحدود على عجل ليتنفس الشبان الثلاثة الصّعداء.

-الفصل السادس: يعيد أبو الخيزران الكرّة ثانية لتجاوز الحدود الكويتية، فينزلون إلى داخل الصهريج ويقود أبو الخيزران سيارته بسرعة، وهناك يشاغل موظفو الجمرك أبا الخيزران بالحديث عند مغادرته، وعن الراقصة (كوكب) حيث أخبرهم الحاج رضا بذلك، وهو يستجديهم إنجاز معاملته، و(أبو باقر) يعرض عن ذلك، وأرواح الشّبان تصعد إلى بارئها بعد أن أوصد الصهريج أبوابه في وجه الهواء.

-الفصل السابع: قرر أبو الخيزران أن يلقي بالجثث الثلاثة بعد تفكير عميق على رأس الطريق، حيث تقف سيارات البلدية لإلقاء قماماتها، كي تتيسر فرصة رؤيتها لأول سائق قادم في الصباح الباكر.

ترك الجثث بعد أن أخرج النقود من جيوبها وانتزع ساعة مروان من يده، متّجهاً إلى بيته وهو يصرخ: لماذا لم تفتحوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقولو؟ ...

ليس ثمّة شكّ أن للأدب دوراً بارزاً في زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي لدى الشعوب، وقد لعب الأدباء في بواكير أعمالهم الأدبية هذا الدور المميز الذي أزال الغشاوة عن عيون كثير من الباحثين عن الحقيقة.

ومن أبرز هؤلاء الأدباء الذين لعبوا الدور الأكبر في إبراز القضية الفلسطينية، والمعاناة التي لحقت بالشعب الفلسطيني، الكاتب الروائي غسان كنفاني وخاصة في روايته (رجال في الشمس).

فعند قراءة هذه الرواية أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ الناقد (عنوان الرواية) الذي يطرح أسئلة متعددة ومختلفة، فهل أراد أن يبيّن مدى المعاناة الفلسطينية في أرض الشّتات باعتبار أن الشمس محرقة قاتلة، والوصول إليها فيه الموت المحتّم؟ ولهذا اختار عبارة (في الشمس).

وقد اختار غسان كنفاني أبطال هذه الرواية من فئات فلسطينية مختلفة مثلت الواقع المجتمعي الفلسطيني في غزة ما قبل الستينات ما بعد هزيمة 1948، والإقامة في المخيمات خارج حدود فلسطين.

فأبطال الرواية جاؤوا من أمكنة مختلفة جمعتهم الرغبة في تغيير الواقع الذي ألمّ بهم، متّجهين نحو الكويت حيث الثراء والغنى، وفي مخيّلة كل واحد منهم الأمل في حياة مغايرة للواقع الجديد، إلا أنّ الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فكان هذا الطموح والأمل الموت وأي موت؟ إنه الموت على مزبلة من مزابل الكويت.

الرواية تجمع بين الرموز والواقعية، فتحقيق الحلم الفرديّ ليس حلاً ناجحا لمشكلة شعب، بل لا يحمل مشكلة الفرد نفسه لأن من يخسر وطنه لا يربح شيئاً ولو أصبح من الأثرياء.

الرواية تشفق على الشبان الثلاثة وتظهر قسوة الحياة ومصيرهم المؤلم الذي آلوا إليه، ولكنها لا ترى فيهم النموذج الذي يُحتذى به، وكان عليهم أن يتّجهوا إلى الغرب بدلاً من الشرق.

الرواية تعكس الحالة الاقتصادية المتردية للشعب الفلسطيني بعد حرب 1948، فالفقر والتشرد دفعهم إلى المغامرة واقتحام جحيم الصحراء مضحّين بأنفسهم من أجل لقمة عيش كريمة، والرواية تعكس ظاهرة الابتزاز التي تظهر عقب الأزمات والحروب.

كما أنها تبرز بعض العادات الاجتماعية السيئة في المجتمع الفلسطيني، ولعلها موجودة في المجتمعات العربية الأخرى في نفس الفترة، فابن العم ملزم بالزواج من ابنة عمه، وهي ملزمة بالزواج منه كذلك، والرواية تظهر أيضاً أن قسوة الحياة والضيق المادي دفع ببعض الفلسطينيين إلى الكسب الغير المشروع، كما حصل مع أبي الخيزران.

كما يمكن استنتاج الأهداف التالية من هذه الرواية:

- الحل الفرديّ للقضية الفلسطينية ومعاناة الفلسطينيين مصيره الفشل، وهذا بما ظهر من خلال موت الرجال الثلاثة، إذ لابدّ من حلذ جماعي مُخطّط له.
- الحل لابد أن يكون داخل فلسطين، أما الحل خارج فلسطين مصيره الموت.
- النقمة على كل من شارك في ضياع فلسطين من القيادات المحليّة والعربية.
- توجيه الانتقاد للقادة الذين يعتقدون أنهم يعملون لشعوبهم، وهم في الحقيقة هدفهم المصلحة الذاتية، وهذا ما يظهر في شخصية أبي الخيزران.
- أشار الكاتب إلى الحدود المميتة بين الدول العربية ومدى المعاناة على الحدود العربية.

- توجيه النقد للفلسطينين الذين تركوا أرضهم للاحتلال، وكان لسان حاله يقول: (التمسك بفلسطين والموت فيها أشرف بكثير من الموت على مزبلة من مزابل الدول العربية).
- القيادة الفلسطينية غير قادرة على إيصال الشعب إلى برّ الأمان، ولهذا اختار لها شخصية أبي الخيزران القائد الذي فقد رجولته.

المبحث الثالث: دراسة تحليلية للرواية:

1-الاتجاه الرمزي في الرواية

-الرمزية (Symboism): ارتبط الاتجاه الرمزي في الأدب بمدرسة خاصة لدى الشعراء الفرنسيين منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، منهم (بودلير) (ملارميه) (فيرلين). وهو أسلوب جديد في التعبير، يركز على إبراز الحالات النفسية والانفعالات الحادّة، ويعتمد على الإيحاء بدل التقرير.

ورفض الشعراء الرمزيون الوسائل التقليدية في نظم الشعر، لذا أكّدوا على الغموض لتحويل ذهن القارئ من الواقع إلى ما وراء الواقع، وصولا إلى جوهرة الفكرة وانعكاساتها الفعلية لدى المتلقي. ثم انتقلت الرمزية من الشعر إلى الرواية والمسرحية، وأول ما بدأها الروائي (هنري جيمس) الذي دعا إلى ضرورة تطوير القالب التقليدي للرواية، من الاهتمام بالأحداث الخارجية إلى الأحداث الداخلية أي إلى (دائرة النفس).

كما دعا إلى التجديد في الحبكة التقليدية وتحويلها إلى (تكتيك) يعتمد على تتبع مجرى شعور الإنسان وتجسيده من خلال تيار الوعي. وأصبح تيار الوعي أو ما يُسمى الحوار الداخلي أو المنولوج يستقطب اهتمام الروائيين، فهم يعتقدون كذلك أنه الأقدر على كشف جوهر الإنسان وتحليل أفعاله الخارجية.

وهي التقنية الجديدة التي استخدمها الرمزيون لإبراز الحالات النفسية بمنطقة اللاشعور في الإنسان. وعليه فقد أصبح الحدث في الرواية الحديثة يقدم من هذه المنطقة (منطقة اللاشعور)

أي النظر من داخل الشخصية، وكيفية ارتباط الحدث بهاوتأثيره عليها، فالرواية الرمزية لا تقدم شخصيات تقليدية وحقيقية بقدر ما تقدم نماذج إنسانية تتميز بالذهن المتوقد والمعاناة.[1]

[1]- ضياء الصديقي، رجال في الشمس (رواية رمزية)، نشر يوم 14 سبتمبر 2014، ص4-5.

إذ هي في صراع دائم مع نفسها ومع العالم الخارجي، والكاتب يقدم هذه الأحاسيس من خلال مجرى شعور بطله. أما الشخصيات الأخرى فمساعدة ومساندة على إبرازه.

تتطلب الرواية الرمزية لغة خاصة (أو تعامل خاص مع اللغة) تكمن في التعبير عن الأجواء النفسية المعقدة، وتعتمد على الإيحاء فهي أقرب إلى الشعر المنثور لما تحمله من شحنة إيحائية للتعبير عن الحالات النفسية المعقدة.

نلخص من ذلك أن الرمزية في الرواية تعتمد على (تيار الوعي) وعلى استبطان داخل الشخصية وتحليلها نفسيا وشعوريا، ورسمها كنماذج إنسانية، وإبراز أثر الأحداث على داخل الشخصية، إضافة إلى اللغة الإيحائية.[1]

-موقف (إحسان عباس): "يرى إحسان عباس في شخصية أبي الخيزران المركزية والمحورية للقيادة الفلسطينية، وذلك اعتماداً على اختيار غسان كنفاني هذه الشخصية من الشعب الفلسطيني نفسه فيسأل: لماذا عمد القاصّ إلى اختيار رجل فلسطيني ليقود هذه الشاحنة.

وعدل – عامداً أيضا – عن إجراء الأمر على أحد المهربين المحترفين في البصرة من غير الفلسطينيين؟ ويسأل أيضا لم اختار القاصّ أن يكون أبو الخيزران امرءاً فقد قدرته الجنسية؟"[2].

"ثم يكتب جواباً لهذين السؤالين، ولو أننا اتخذنا شخصية أبي الخيزران مدخلاً لفهم القصة لما تعذّر علينا أن نرى فيه رمز القيادة الفلسطينية في بعض الظروف التي مرت بها القضية، وهي تؤدي دوراً قاتلاً مغرّراً خادعاً مخدوعاً قائماً على المداورة والمراوغة والكذب، شأنها في ذلك شأن المهربين الآخرين ممثلي القيادات العربية الأخرى"[3].

---

[1]- ضياء الصديقي، رجال في الشمس (رواية رمزية)، نُشر يوم 14 سبتمبر 2014، ص5.

[2]- عبد الرزاق عيد، في سيسيولوجيا النص الروائي، دراسات في الرواية، المجلد1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1988، ص67.

[3]- غسان كنفاني، الآثار الكاملة، الروايات، لجنة تخليد غسان كنفاني، عكا، (د.ط)، 1972، ص40.

"ويقول جواباً للسؤال، فذلك يجيء وكأنه أمر طبيعي وخاصة حين نعلم أن أبي الخيزران أُصيب بذلك في حوادث سنة **1948** حيث أُصيبت القيادة نفسها بالعجز والعنّة، وظلّت مع ذلك تدّعي أنها تستطيع توجيه الفلسطينيين وإنقاذهم"[1].

فيرى إحسان عباس في قراءته لـ (رجال في الشمس) أن الشخصيات الرئيسية (أبو قيس، أسعد، مروان) التي تتراءى عبر محمولات الأدوار التي تلعبها في نسيج خيوط الأحداث المتشابكة والمتقاطعة، إنها ترمز إلى الأجيال الثلاثة.

وهكذا تتسع دائرة الرمز في الرواية لتأخذ دلالات وأبعاد جديدة، وهذه الدلالات في رأي الناقد إحسان عباس على الشكل التالي:

- أبو قيس وأسعد ومروان، باعتبارهم شخصيات متفاوتة الأعمار ترمز إلى الأجيال الثلاثة.
- موظفو الحدود يرمزون إلى بيروقراطية فاسدة.
- الحاج رضا يرمز إلى قيادة أخرى مشبوهة التصرف والأهداف.
- العالم العربي يرمز إلى الصهاريج والأفران اللاهية ... [2].

هكذا يتّضح أن (رجال في الشمس) حسب هذا التأويل ترمز إلى القيادة الفلسطينية، وإلى الشعب الفلسطيني بكل ملامحها السلبية التي اتصف بها وعي الشعب والقيادة الفلسطينية إثر النكبة.

[1]- يوسف سامي اليوسف، غسان كنفاني، رعشة المأساة، المجلد1، الأردن، دار المنارات للنشر، (د.ط)، 1985، ص14.

[2]- ينظر: المصطفى عمراني، مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي، روايات غسان كنفاني نموذجا، المجلد1، عالم الكتب الحديث، (د.ط)، 2011، ص158-159.

-الناقد الأردني (يوسف سامي اليوسف): "يرى أن من العبث من العراك حول رمزية بعض جزيئات الرواية، فإذا ما كان أبو الخيزران رمزاً للقيادة الفلسطينية، أو رمزاً حتى للشيطان نفسه، وإذا كان المهربون البصريون رمزاً للقيادات العربية، أو رمزا للاستغلال أو رمزاً لأي شيء قد يخطر على البال.

وإذا كان موظفو الحدود رموزاً للبيروقراطية العربية، أو رمزاً لقصر النظر، هذه كلها لا يعني كثيراً، هناك رمز واحد هامّ، بل هو ليس أكثر من كنابة فقط، وهو أن الأبطال الثلاثة هم المكافئ الروائي للشعب الفلسطيني، وهم يمثلونه أحسن تمثيل، حتى من جهة اجياله المتعقبة.

فخلاصة رمزية الرواية هي استهجان اللاعقلانية في القضية التالية، لما كان لابد من قبر فلماذا نقبل أن نموت جبناء؟"[1].

-الدكتور (محمد فؤاد): "يلاحظ وجود الرمزية في الرواية (رجال في الشمس) وهذه الرمزية مشكلة باتجاهين بارزين في فترة كتابة هذه الرواية، وهما الرومانسية والواقعية، فاستخدم الكاتب غسان كنفاني هذه الاتجاهات الثلاث في المواضع المناسبة في أحداث الرواية وشخصياتها.

فيرى تلك المعطيات الفكرية الرومانسية والواقعية التي يحاول تجسيمها في هذه الرواية بلغة الرمز والوقائع التاريخية، ولا يخفى على القارئ تلك الدلالات الرمزية ابتداءاً من عنوان الرواية وحتى نهايتها، بإطلاق صرخة أبي الخيزران: لماذا لم تدقّوا جدران الخزان؟"[2]. فإن رمزية الأدب الروائي في هذا العمل هي الرمزية الواقعية، حيث كان منطلق الكاتب التغيير الفكري نابعاً من ظروف الحياة المأساوية التي عاشها الكاتب، وظروف من حوله، وما يعانيه

[1]- يوسف سامي اليوسف، غسان كنفاني رعشة المأساة، ص19.

[2]- محمد فؤاد السلطان، قصة رجال في الشمس لغسان كنفاني، دراسة نقدية، مجلة جامعة الأقصى، جويلية 2007، ص07.

الإنسان الفلسطيني من مشكلات، وما يتطلع إليه من طموحات ضمن مسار نضاله وتحدّيه اليومي مرتكزاً في الأساس على المعالجات الثورية النضالية، وهذا ما يستوجب أن يكون معتمداً على وسائل وطرائق مباشرة في الطرح والتعبير، لأنها في الأساس معالجات موجهة للجماهير"[1]

غير أن هذه الرمزية اعتمدت بعدن اثنين أساسيين في المعالجة الأدبية، الأول منهما ما يمكن أن نسميه بالرمز الجزئي، وهو تضمين العمل بعض رموز يمكن أن يستقيها أو يستخلصها المتلقي من السياق أو من بعض الأسماء المعبرة ذات الدلالات المباشرة في العمل.

وهي كثيرة ومتعددة منها العنوان (رجال في الشمس) .رمز إلى جحيم المعاناة لهؤلاء الرجال وشدّة الحرارة التي واجهها أبطال القصة (الرواية) سواء في البصرة أو الصحراء، أو داخل الخزان، أو موتهم حرّاً.

-الرموز في الرواية:

- أبطال القصة الثلاثة (أبو قيس وأسعد ومروان): رمزا للشعب الفلسطيني كله الذي يمثلونه بفئاته العمرية المختلفة، الذين لا يستطيعون أن يروه قبراً – خير تمثيل لهم – فهم موتى بل قبور، أي موتى في قبر الخزان، فهو الذي رضي بنكبة 1948 ولم يرفض حتى أو يصرخ.

- أبو الخيزران: تلك الشخصية الجبانة، وهذا الرجل العنّين، المهزوم، رمز القيادة الفلسطينية الفاشلة المهزومة، والعاجزة عن مقاومة الاحتلال الصهيوني في زمن النكبة وما بعدها. وهو الذي يحملهم إلى الموت، قيادة لا تفي بوعودها، ولا تتحمل مسؤوليتها.

ولا شكّ أن عجز هذه القيادات من الأسباب الرئيسة التي أدّت إلى النكبة والتشرّد، وكذلك دليل العجز والسكوت عما جرى، مع أنه كان يعلم مصيرهم.

[1]- محمد فؤاد السلطان قصة رجال في الشمس لغسان كنفاني، ص08.

-المهرّب البصراوي: رمز الاستغلال الإنساني بأبشع صورة، ورمز القيادة العربية والفلسطينية المتكرّسة، ورمز الساسة البرجوازية الرأسمالية الذين يستغلّون مأساة الفلسطينيين من أجل الانتفاع الشخصي والاتّجار بها.

-موظّفو الجمارك الحدوديّة: (أبو باقر) رمز المسؤول العربي الرسمي التافه الذي لا يقدّر المسؤولية، ويشتغل بتوافه الأمور عن عظائمها، ورمز للبيروقراطية الفاسدة والمستغلّة.[1]

-الصحراء: هي بطل مركزي في القصة، إنها المساحة الفاصلة بين الحياة والموت، هي الفراغ السياسي، وهي مشوار لا ينتهي من العذاب دون أمل بإمكانية الوصول إلى الهدف المنشود، فالصحراء موجودة في مكان ما بالنسبة للفلسطيني، وهي رمز لبعد مأساوي وترجمة أحوال الشعب الفلسطيني عند غسان كنفاني.

-الخزان: رمز الحصار والسجن والقبر والموت يتّجه نحو الشعب الفلسطيني بقيادته الفاسدة، وتشخيص للوضع العربي المقفل على أرض الصحراء العربية، فهو صورة الجحيم الفلسطيني، هو ذروة المأساة التي يعيشها الفلسطينيون في المنفى، هو السجن الكبير الذي عليهم أن يحطّموا جدرانه إذا أرادوا البقاء.

-الموت: رمز الهروب إلى الحياة الجديدة، ورمز المخاض العسير الذي سيفضي عن مولود جديد، ورمز الليل الفلسطيني المظلم الذي ينبلج عنه فجر جديد وهو الثورة الفلسطينية.

(1) (2) ينظر: خالدة الشيخ الخليل، الرمز في أدب غسان كنفاني القصصي، شرق برس، (د.ط)، 1982، ص91-92.

وقد حاول غسان عن طريق الرمز أن يقول للمتلقي عليك أن تبقى في أرضك، وأن تتشبّث به بالرغم من ضياع أشياء كثيرة، فترك الأرض والهجرة إلى رغيف الخبز مصيره الهلاك وعدم الحصول على شيء.

فخير لك أن تعيش في أرضك، ففي التّجذّر الحقيقي بالأرض كنز الهوية والوجود الحقيقي، وعليك أيها الفلسطيني ألاّ تتبع القيادات العاجزة، التي هي كأبي الخيزران، كما أنّ عملية التنقل لا تتمّ في الخفاء كما فعل أبطال هذه القصة.

2-بنية المكان والحدث في الرواية:

أ)مفهوم المكان: يُعدّ مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد، فهو الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، والمجال الذي تسير فيه الأحداث من تحوّلات على مستوى الشخصيات من أفعال وأقوال، وكذلك فإن مكان الرواية ليس هو المكان الطبيعي، فالنص يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة[1].

كما يُعدّ المكان الأرضية المناسبة والخصبة للشخصيات والأحداث، فهو "عنصر حيّ فاعل في هذه الأحداث وفي هذه الشخصيات، إنه حدث وجزء من الشخصية، وأيضاً هو الذي يؤسس الحكي في معظم الأحيان، لأنه يجعل القصة المتخيّلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[2].

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات فحسب، بل لأن المكان يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى الفضاء الذي يحتوي على كل العناصر الروائية.

---

[1]- ينظر، سيزا قاسم، الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتب، (د.ط)، 1984، ص75.

[2]- حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ،الدار البيضاء ،المغرب د.ط،2000،ص53.

لهذا "فالمكان يكتسب أهمية من خلال معايشة البطل للأمكنة والأحياء التي تمدّ له بالصلة من قريب أو من بعيد، فيكون المكان هو اللوحة النفسية التي عاشها وعايشها البطل"[1].

"إن للمكان أهمية مثله مثل العناصر الأخرى من شخصيات وزمان، فلا يمكن أن ينفصل عنها ما دامت الرواية كلّ شامل، إذ يشكل مع الزمن في الرواية وحدة عضوية واحدة لا تنفصل حتى تأتي الحركة بعد ذلك لتكمل هذه الوحدة وتضفي عليها الحياة، المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، بل يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله، إذ تحركه لغة الكاتب ومخيلة المتلقي، ويتفق معظم النقاد أن المكان بالنسبة للعناصر الأخرى هو النقطة الأساسية لكل الأبعاد التي يجمع بينهما الكاتب، فهو الشخصية المتماسكة والأساسية في الرواية"[2].

يرتبط الإنسان بالمكان ارتباطاً وثيقاً شعوريا ولا شعوريا، ويترجم هذا الارتباط بوسائل عدّة، فيبنى على غرار من سبقوه في أرضه، ويزرع كزرع من مرّوا قبله فوق وجه الأرض، ويرسم على جدران بيته آهاته، تلحق به شوارع المدن والقرى أنّى ارتحل.

-المكان: الأحداث السردية تجري في مكان واحد وهو صحراء شطّ العرب من البصرة إلى الحدود العراقية — الكويتية. ولكن المكان متشعّب بالنظر إلى زمن القصة، فالمكان عند (أبي القيس) يبدأ في فلسطين قبل النكبة عام 1948 بقليل، ثمّ لجوئه إلى لبنان واستقراره في المخيم ثم تهريبه إلى البصرة في منطقة شطّ العرب ثمّ الحدود، رغبة بالوصول إلى الكويت بلد الثروة ليعود ثانية إلى المخيّم في لبنان.

---

[1]- أحمد زياد محبك، متعة الرواية، دراسة نقدية منوعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.ت)، ص55.

[2]- حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص21.

أما المكان عند (أسعد) فيبدأ بالمعتقل في الأردن عندما بصق المحقق في وجهه بعد مشاركته في تظاهرة طلابية ثم تهريبه من الأردن إلى العراق، وكان يرغب بالوصول إلى الكويت بلد الثراء ليحصل على المال والثروة، ولم يوضح إذا كان سيستقر في الكويت أم يعود إلى الأردن.

أما (مروان) الصغير فهرب أيضاً من المخيم إلى البصرة ليصل إلى الكويت حتى يجمع الثروة لإعالة أسرته الصغيرة التي تخلّف عنها الأب والشقيق.

و(أبو الخيزران) المكان عنده غير مستقر، فهو سائق شاحنة يعمل بالتهريب، وينتقل ما بين الكويت والبصرة ينقل الممنوعات ويهرّب الرجال في طريق العودة.[1]

ونلاحظ أن أيّ من الشخصيات لم يحلم ولم يسعَ إلى الرجوع إلى فلسطين، فكلّ منهم تقبّلاً مكانه الحاليّ، ورغب في تحسين أحواله المعيشية في البقعة التي اضطرّ أن يوجد فيها، دون السعي للرجوع إلى الوطن.

فهم من فئات عمرية مختلفة ولكلّ مشاكله، واجتمعت على أنها مشاكل معيشية في الدرجة الأولى، ونسوا المشكلة الرئيسية وهي اللجوء، ونسوا حلم العودة إلى الوطن، وكانوا انهزاميّين حتى اللحظة الأخيرة، فلم يجرؤوا على فعل مشروع وهو أن يصرخوا وأن يدقّوا الخزّان لينجوا بحياتهم.

ب)مفهوم الحدث في الرواية: يُعدّ الحدث من أهمّ عناصر البناء الروائي "وهو مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببيّاً، تدور حول موضوع عامّ، وتصوّر الشخصية وتكشف عن أبعادها، وهي تعمل عملاً له معنى. كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، وهي المحور الأساسي الذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطاً وثيقاً"[2].

[1]- محمد جبران، دراسة لرواية رجال في الشمس لغسان كنفاني، مجلة دنيا الوطن، نُشر يوم 2008/2/8، ص2.

[2]- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، ص135.

والحدث أهمّ عنصر في القصة القصيرة "ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات، وهو الموضوع الذي تدور حوله القصة، ويعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها، ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان والسبب الذي قام من أجله، كما يتطلّب من الكاتب اهتماماً كبيراً بالفاعل والفعل، لأن الحدث هو خلاصة هذين العنصرين"[1].

تمكن غسان كنفاني من نسج منظومة الأحداث المتلاحقة من خلال توظيف لغته الفريدة، حيث تطالعنا لغته الفلسفية السياسية الثريّة فتشدّ أذهاننا لتثير في أنفسنا دافعاً قويّاً نحو متابعة المتن الحكائي، والغوص في أسراره.

فقد تمكّن هذا الكاتب من تسجيل تعابير لغويّة تطفو على سطح البنية التي تؤول إلى دلالات بنائية عميقة البعد والمنظور، وهي تعابير تضفي على المتن الروائي هالة من القوة والقداسة، ففي عبارة (أبو قيس): "... يا رحمة الله عليك يا أستاذ سليم لا شكّ أنك ذو حظوة عند الله حيث جعلك تموت قبل ليلة واحدة من سقوط القرية المسكينة في أيدي اليهود ... يا الله !أتوجد نعمة إلهيّة أكبر من هذه؟" نجد بعدا فلسفيا يقترن بأسرار روحانية تشي بكيفية فهم الذات وغمار الكون الواسع.

فالأحداث بجملها تدور في محيط الرمزية الواقعية، ولا تخلو من الرومانسية التي يقدم بها الكاتب صرخة شعبه التي تحمل تاريخاً فلسطينياً مليئاً بالأحداث والأزمات.

"كما تتمحور أحداث رواية (رجال في الشمس) حول أربعة أبطال وهم (أبو القيس وأسعد وأبو الخيزران ومروان)، وتبدأ أحداث الرواية الأصلية بعد الاتفاق مع المهربين، حيث ركبوا جميعا معه في سيارة النقل، والتي تنقل المياه في خزان كبير مثبت في مؤخرتها، ويذعن الرجال لأوامره

[1]– شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2009، ص31.

بالاختباء في داخل الخزان الفارغ عند المرور عند كلّ نقطة تفتيش تقابلهم، والخروج من الخزان بعد عبور نقاط التفتيش.

ويتبادل الرجال التنقل بين الخزان والخروج منه طوال الطرق الشّاقّ، بين حرارة الشمس ولهيبها الحارق وبين برد الأمل وسلامه. تخلّل رحلتهم حوارات قصيرة بينهم، ومونولوج طويل في داخل كل منهم لا يقطعه غير توقف السيارة على أحد الحواجز.

وتختتم الرواية بنهاية صادمة حيث اتّفق المهرّب معهم على الاختباء للمرة الأخيرة قبل عبور آخر الحواجز، وقبل أن يوصلهم إلى ما قبل الحدود الكويتية بأمتار عدّة، يتركهم المهرّب بعدها كي يشقّوا طريقهم نحو تحقيق أمانيهم.

ولكنّ رعونته ومكوثه مع أحد جنود الحاجز لمدة طويلة، أنسياه الرجال القابعين في داخل الخزان المعدنيّ فنالت منهم حرارة الشمس الملتهبة في الداخل حتى يكتشف بعد فوات الأوان أنهم اختنقوا وماتوا جميعاً.

ويبقى السؤال الذي أنهى به غسان كنفاني روايته الأشهر:" (لماذا لم يدقّوا جدران الخزّان) وكأن كنفاني يدقّ لنا من زمن بعيد أجراس الإنذار"[1].

3-نقد الرواية:

[1]- عمرو علي صالح، الأدب المقاوم، غسان كنفاني، مجلة الميادين، نُشر يوم 2017/03/24، ص05.

يتحول الموت عند كنفاني إلى الملجأ الأخير الذي يضع حدّاً للألم والإحساس بالعجز فيه، بعد أن لم يكن هناك أمل بالحياة، ولكن تبقى القضية وتبقى الصحراء وتبقى الأرض بانتظار أن يدقّ أحد على الخزان ويطلق الصرخة.

لقد تمّت صياغة القصة في إطار رمزي يتّسم بالبساطة والمباشرة وقد حاول الكاتب تقديم قصة ذات أبعاد رمزية ليعلن إدانته لابتعاده عن أرض فلسطين.

أما الثاني منهما، فهو ما نطلق عليه (الرمز الكليّ) ونعني به رمزية العمل الروائي أو القصصيّ كلياً، هدفاً وفكرة ومعالجةً في آن واحد، فالقصة تمثل الهجرة بعد الهجرة، وهروباً بعد هروب، هروبا وهجرة من الواقع المرير، إلى هروب آخر من موظفي الجمارك إلى هروب وهجرة من الدنيا ومفارقتها.

وهي تمثل في مجملها محاكمة نقدية لمجمل الظروف والرموز العاملة فيها، ورغم تركيز الرواية على الجانب السلبي الذي أدى إلى الهزيمة التي نتجت عن هذه الظروف لأن الاستمرار فيها يعني إطالة عمر الهزيمة.

وينمّ الموقف النقدي في الرواية من خلال شخوصها التي اختارها الكاتب، فهي تمثل ثلاثة أجيال عمرية مختلفة، تمثل فترات متعاقبة، وكأنه يحمّلها مسؤولية الهزيمة كأشخاص لكل منهم توجد له مشاكله الخاصة، لكن الطريق لحلّ هذه المشاكل واحدة، وكانت النهاية لكل منهم أيضا واحدة.

وقد حاول كنفاني أن يقول للمتلقي: عليك أن تبقى في أرضك وأن تتشبّث بها بالرغم من ضياع أشياء كثيرة، فترك الأرض والهجرة إلى رغيف الخبز مصيره الهلاك، وعدم الحصول على شيء. خير لك أن تعيش في أرضك، أو تظلّ على مقربة منها على الأقل.

وعليك أيها الفلسطيني ألا تتبع القيادات العاجزة التي هي كأبي الخيزران.[1]

كما أثار هذا العمل الكثير من التساؤلات والتفسيرات لدى المتلقي:

-أدان الكاتب بصورة غير مباشرة الهجرة واللجوء، والحواجز الحدودية بين الأقطار العربية الشقيقة، وتقسيم العالم العربي، بعد محاكمة (سايكس بيكو) أبشع صور الظلم والاستغلال في الواقع العربي.

-إن الانتقال من نضال إلى آخر في حياة أي شعب يجب أن يتمّ بطريقة مدروسة واعية صحيحة، ويكون بعيداً عن أي خطر، قد يؤدي إلى الهلاك أو الانتحار.

- كما أهاب بالإنسان المستضعف أن يصرخ في وجه الطغيان، إذ كان على أبطال قصته أن يصرخوا وأن يدقّوا جدران الخزان، فذلك خير أن يموتوا داخله، فلابد للشعب الذي أحاطه الموت من كل جانب من الثورة لأن السكوت موت والفرار موت.

- حدد الكاتب من خلال الإشارات الرمزية بموقف القادة والزعماء الفلسطينيين والعرب في مواقفهم العاجزة تجاه القضية الفلسطينية، محذّراً من تسليم أمر الشعوب إلى مثل تلك القيادات الغير القادرة على الفعل الصحيح، مهيباً بالأجيال القادمة ألا شكت على قيادتها المتخاذلة.

- طرح الكاتب قضية الضياع والقلق الإنساني العام المتعلق بالبحث الدؤوب والمستمر عن الذات وعن كنز الوجود، وعن هوية الأرض الضائعة، ليكسب منها مسحة الأنسة في جانب آخر، والتي حسمها المؤلف بشكل ناجح ومؤثر في صرخة أبي الخيزران في نهاية الرواية "لماذا لم

[1]- ينظر: شكري عياد، الأدب في عالم متغير، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط1، 1971، ص20.

تدقّوا جدران الخزان" والصدى الذي رددته الصحراء، وهي العبارة الأجمل والأقوى والأخطر على الإطلاق في القصة.

أراد غسان كنفاني المشرد اللاجئ الذي قاسى بما فيه الكفاية، وعمل في الفن والسياسة والصحافة أن يبوح بما يخطط له في هذه القصة، وفضّل ألا يبقى ساكتاً ويرضى باللجوء.

الخـــاتمة

الخاتمة

في ختام المذكرة التي تناولت صورة المقاومة الفلسطينية (رجال في الشمس) لغسان كنفاني بالدراسة نجمل أهمّ النقاط المتوصل إليها:

-ليس ثمّة شك أن للأدب دورً بارزاً في زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي لدى الشعوب، وقد لعب الأدباء في بواكير أعمالهم الأدبية هذا الدور المميز الذي أزال الغشاوة عن عيون كثير من الباحثين ع الحقيقة.

- ومن أبرز هؤلاء الأدباء الذين لعبوا القدر الأكبر في إبراز القضية الفلسطينية والمعاناة التي لحقت بالشعب الفلسطيني، الكاتب الروائي غسان كنفاني وخاصة في روايته (رجال في الشمس)

1- الرواية تجمع بين الرموز والواقعية، فتحقيق الحلم الفرديّ ليس حلاً ناجحاً لمشكلة شعب، بل لا يحل مشكلة الفرد نفسه، لأن من يخسر وطنه لا يربح شيئا ولو أصبح ثرّياً.

2- الرواية تشفق على الشبان الثلاثة، وتظهر قساوة الحياة ومصيرهم المؤلم الذي آلوا إليه، ولكنها لا ترى فيهم النموذج الذي يُحتذى به.

3- الرواية تعكس الحالة الاقتصادية المتردية للشعب الفلسطيني بعد حرب 1948، فالفقر والتشرد دفعهم إلى المغامرة واقتحام جحيم الصحراء مضحّين بأنفسهم من أجل لقمة عيش كريمة، كما تظهر الابتزاز الذي يظهر عقب الأزمات والحروب.

4- الرواية تبيّن أيضاً أن قسوة الحياة والضيق المادي دفع ببعض الفلسطينيين إلى الكسب الغير المشروع، كما حصل مع أبي الخيزران.

5- قدم لنا غسان كنفاني صورة الفلسطيني اللاجئ، وهي ذات الصورة التي طوّرها في روايته الثانية (ما تبقّى لكم) ليقدّم فيها الفلسطيني الفدائي، ثم في روايته الأخيرة (عائد إلى حيفا) ليقدم فيها الفلسطيني الثائر.

قـــــائمة المـــــصادر و المـــــراجع:

1) المصادر :

- **المعاجم و الموسوعات**

1- ابراهيم مصطفى و آخرون ,المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع تركيا ,ج 1،ط2 . د.ت.

2- ابن منظور ،لسان العرب, مادة قاوم ،دار صادر ،بيروت ،لبنان ،ط 6 ،د.ت المجلد الثاني عشر.

3- صبحي حموي وآخرون ،المنجد في اللغة العربية المعاصرة, دار المشرق, بيروت لبنان, ط 2 ،2001.

4-مجدي وهبة, معجم مصطلحات الأدب, مكتب لبنان, بيروت, د.ط.1975,

- **الموسوعات:**

1- محمدعمر حمادة ,موسوعة اعلام فلسطين من القرن السابع حتى القرن الحادي و العشرين ميلادي ,دار السبيل لنسر و التوزيع, الجزء الخامس , د,ط,د,ت.

- **الكتب:**

غسان كنفاني:

1-الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال,(1968- 1948) مؤسسة الأبحاث العربية ,بيروت لبنان ,ط.2 , 1981

2-أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ,(1966-1948) مؤسسة الابحاث العربية ,بيروت لبنان, ط.2، 1982.

3-عائد الى حيفا, مؤسسة الأبحاث العربية, لبنان, ط.6، 2004.

4- رجال في الشمس, مؤسسة غسان كنفاني الثقافية, بيروت, ط3 ،1986

5- الآثار الكاملة ,الروايات, لجنة تجليد غسان, عكا, د.ط،1972.

2) المراجع :

أ -الكتب:

1- ابتسام قعرور , حروب الضلال الصليبية و سياسية الاغتيالات, ترجمة اريج صدقة, دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع, ط,1د,ت

2- ابراهيم نجم و أمين عقل و عمر ابو النصر, فلسطين العربية, وزارة الثقافة العربية،القدس ،د.ط،2009.

3- ابراهيم ابوشقرا ,مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني و ثورة (1936 – 1939) مؤسسة الضحى للطباعة ,بيروت,ط 1، 1991 .

4- ابو مطر أحمد عطية ,الرواية في الادب الفلسطيني ,منشورات وزارة الثقافة و الإعلام دار الرشيد للنشر ,العراق ,د,ط.1980 ,

5- أحمد عزت عبد الكريم ,دراسات في التاريخ الحديث ,دار النهضة العربية ,بيروت لبنان, د,ط,د,ت.

6- أحمد زياد محبك،متعة الرواية،دراسة نقدية منوعة،دار المعرفة،بيروت لبنان ،د.ط،د.ت

7- أحمد هاشم السمراني ،استنطاق المجهول في قراءة تراث الأديب غسان كنفاني ،د.ن،د.ط،د.ت.

8- آن لانتدرس ,القدس المقاومة الوطنية و التغيير (1967-1994). الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية, القدس, د,ط.1995.

9- إيميل توما , جدور القضية الفلسطينية, عرض و تقديم محمد ايوب ,المجلد 4، د, ن, فلسطين.1995,

10- باميلا آن سميث, فلسطين و الفلسطينيون (1973-1976) ترجمة إلهام بشار الخولي ,دار الحصاد, دمشق ,د ,ط.1991 ,

11 -بشارة عزمي, أن تكون عربيا في أيامنا, مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت د,ط. 2009,

12- البشير الابراهيمي ،فلسطين ،عالم الأفكار،الجزائر،المحمدية،ط2،2007

13- بطرس بطرس غالي وسميون برير ,حوارات مع اندريه فرساي ,ستون عاماً من الصراع في الشرق الأوسط, شهادات للتاريخ, دار الشرق, ط 1 ,2007.

14- بيرنار غزا نوفبيه ,اسرائيل سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة ,ترجمة محمد سميح السيد, مركز الدراسات العسكرية, دمشق, د,ط.1984.

15- حمدان غسان, الانتفاضة المباركة, د,ن,د,ط ,د,ت.

16 -حيدر توفيق بيضون, غسان كنفاني)الكلمة و الجرح ,(دار الكتب العلمية, بيروت, لبنا ن،ط1995،1.

17- حسن نجمي, شعرية الفضاء المتخيل ,و الهوية في الرواية العربية ,المركز الثقافي العربي الدّار البيضاء, بيروت, ط1، 2000

18- حميد لحميداني, بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, المركز الثقافي العربي لطباعة و النشر, الدار البيضاء, المغرب ,د.ط.2000 ,

19- خالدة الشيخ خليل ,الرمز في أدب غسان كنفاني القصصي ,شرق برس ,د, ط.1982,

20- ذياب مخادمة و موسى الدويك, الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني, مركز الدراسات الشرق الأوسطّ, د , ط, د , ت.

21- رضوى عاشور ,الطريق إلى الخيمة الأخرى ,دراسة في أعمال غسان كنفاني, منشورات دار الآداب, بيروت, ط.2 ، 1981

22- روحي الخطيب, المؤامرات الإسرائيلية على القدس (1965-1975) ,عمان, د, ط.

23- سامي السويداني ,في دلالية القصص وشعرية السرد ,دار الآداب , بيروت, د, ط, د, ت.

24- سيزا القاسم ,بناء الرواية, دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ الهيئة المصرية العامة للكتب, د, ط.1984.

25- شارب جين, في البدائل الحقيقية, مؤسسة آلبرت أنشتاين, الو.م.أ, د, ط ,2004.

26- شريبط أحمد شريبط, تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ,دار القصبة للنشر, الجزائر, د, ط , 2009 .

27- شكري عياد, الأدب في عالم متغير, الهينة المصرية العامة للتأليف و النشر, القاهرة, ط1 ، 2009 .

28- صايغ نصري, حوار الحفاة والعقارب, دفاعاً عن المقاومة, دار رياض ريس للنشر والكتب, د, ط.2007,

29- صبحية عودة زعرب, غسان كنفاني) جماليات السرد في الخطاب الروائي ,(دار مجد لاوي الأردن ,ط, 1 ، 1996 .

30- عادل محمد العضالية ,القدس بوابة الشرق الأوسط للسلام, دار الشروق للنشر والتوزيع, الأردن, ط1 ، 2007 .

31- عارف العارف ,النكبة,نكبة بيت المقدس و الفردوس المفقود(1947 – 1957), ج, 1العصرية للطباعة و النشر ,بيروت, د, ط, د, ت.

32- عبد الله بن عبد المحسن التركي ,الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل ,وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ,السعودية ,د, ط, د, ت.

33- عبد الرزاق عيد ,في سيسيولوجيا النص الروائي, دراسات في الرواية ,المجلد ,1الأهالي لطباعة والنشر والتوزيع, د, ط 1998 .

34- عبد الملك مرتاض ,في نظرية الرواية)بحث في تقنيات السرد ,(المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ,د ,ط.1998 ,

35- عبد الحكيم أحمد عادل وآخرون ,حرب اللاعنف الخيار الثالث ,أكاديمية التغيير, ط 3 ، 2013 .

36- عدنان علي رضا النحوي ,على ابواب القدس ,منشورات وزارة الثقافة العربية القدس, د. ط.2009,

37-محسن محمد صالح, دراسات منهجية في القضية الفلسطينية, مركز الاعلام العربي القاهرة, د, ط.2003,

38- محمد ,محمد حسن شراب) عز الدّين القاسم (شيخ المجاهدين في فلسطين ,دار البشير ,جدّة ,ط1 ، 2000 .

39-محمد عزة دروزة ,العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها , ج ,2دار الكلمة للنشر ,بيروت ,د ,ط , 1980.

40- مسعود ابو نصير ,جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ,د, ن ,بيروت , د , ط.1968 ,

41-محمد عبد الرحمن الحسن, العرب و اليهود الماضي والحاضر والمستقبل ,منشأة المصارف الاسكندرية ,د ,ط ,د ,ت.

42- المصطفى عمراني ,مناهج الدراسات السردية وإشكالية الثلثي ,روايات غسان كنفاوي نموذجا ,المجلد ,1عالم الكتب الحديث ,د ,ط2011,

43- ناجي علوس ,الثورة الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ,المطبعة الجامعية الموصل ,د ,ط ,د ,ت.

44- نجيب الأحمد ,فلسطين تاريخا ونضالا ,دار الجليل للنشر و الدرسات والأبحاث الفلسطينية ,ط 2 ، 2004 .

45- نواف الزور ,القدس بين مخططات تهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية ,دار الخواجا, عمان ,ط1 ، 1991 .

46- ياسين صبحي ,الثورة العربية في فلسطين ,(1932-1939) دار الكتاب العربي القاهرة ,د ,ط.1967 ,

47- يوسف سامي اليوسف ,غسان كنفاني رعشة المأساة ,المجلد1،دار المنارات للنشر ,الأردن ,د ,ط. 1985 ,

ب -المجلات

1- أحمد الكايد ,القدس في خضم الانتفاضة الشعبية ,خلفيات وأبعاد ,مجلة صامد الاقتصادي العدد85 ، 1991 .

2- انتصار خليل الشنطي ,دور المجاهدين الفلسطنيين من قرار التقسيم الى دخول الجيوش العربية ,مجلة صاعد الاقتصادي العدد ,113 لسنة.20

3- ضياء الصديقي ,(رجال في الشمس) رواية رمزية (نشر يوم 14 سبتمبر 2014 .

4- فاطمة على ,فلسطين في نظر الكاتب الشهيد غسان كنفاني) رجال في الشمس , دراسات الأدب المعاصر ,السنة 7 , 1394, العدد.26

5- عمرو علي صالح ,الأدب المقاوم ,غسان كنفاني ,مجلة الميادين.

6- عبد الله أبو راشد المسرح في عالم-غسان كنفاني ,جريمة الأسبوع الأدبي , اتحاد الكتاب العرب ,دمشق ,السنة السادسة والعشرون .2012 ,

7- محمد جبران ,دراسة لرواية رجال في الشمس لغسان كنفاني ,مجلة دين الوطن.

8- محمد فواد السلطان ,قصة رجال في الشمس لغسان كنفاني ,دراسة نقدية , مجلة جامعة الاقصى ,المجلد الحادي عشر ,العدد الثاني جويلية.2007

9- هالة منصور ,المقاومة الوطنية في القدس ,(1917-1997) مجلة صامد الاقتصادي العدد ,110 السنة 119 ، 1997 .

ت -المواقع الالكترونية:

- 1 - خليفة الياهوري ,بناء الشخصية في القصة القصيرة, www.quds.way.com
- 2 - ويكيبيديا المقاومة الفلسطينية.
- 3 - ويكيبيديا حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.
- 4 - حركة الجهاد الإسلامي) موقع المعرفة(http.www.quds.way.com,

- **ث - الرسائل الجامعية:**

- 1 -رجب حسن العوضي البابا ,جهود حركة المقاومة الاسلامية حماس في الانتفاضة الفلسطينية سنة ,1987-1994 رسالة ماجستر بالجامعة الاسلامية ,غزة.2010 ,
- 2 - شقور رفقة ,أثر حزب الله في تطوير فكر المقاومة وأساليبها في المنظمة العربية ,رسالة ماجستر ,جامعة النجاح الوطنية ,نابلس.2009 ,
- 3 - عمر رشاد سليم ناصر ,حركة فتح الاشكاليات والتحديات ,إشراف رائد تغييرات رسالة ماجستر ,بجامعة النجاح الوطنية ,نابلس ,فلسطين , 2015.

فـــهرس المحتويات:

- مقدمة.....أ
- مدخل: أدب المقاومة.....أ

الفصل الأول: مسيرة و محطـات المقاومة الفلسطينية:

- المبحث الأول: تعريف المقاومة:

1) لغة:.....9

2) اصطلاحا:.....9

- المبحث الثاني: نشأة المقاومة الفلسطينية:

1) المرحلة الأولى في العشرينيات (1920-1929).....13

2) المرحلة الثانية في الثلاثينيات (1931-1939).....15

3) المرحلة الثالثة ما بعد صدور قرار التقسيم.....22

4) المرحلة الرابعة الممتدة ما بين عام 1948-1967.....24

5) المرحلة الخامسة الممتدة ما بين عام 1967-1987.....26

- المبحث الثالث: مظاهر المقاومة الفلسطينية:

1) المظهر الأول: رفض التعامل مع قوات الاحتلال.....36

2) المظهر الثاني: التصدي للصهاينة.....38

3) المظهر الثالث: الانتفاضات والمظاهرات.....38

الفصل الثاني: غسان كنفاني وروايته:

- المبحث الأول: ترجمة لحياة الكاتب.

1) مولده ونسبه ونشأته.....42

2) تعليمـه.....45

3) آثاره.....48

4) وفاتـــه.....51

- المبحث الثاني: تقديم عام لرواية (رجال في الشمس).

1) دافع كتابة هذه الرواية.....53

2) شخصيات الرواية.....57

3) ملخص عام للرواية.....60

- المبحث الثالث: دراسة تحليلية للرواية:

1) الاتجـاه الرمزي في الرواية.....65

2) بـنية المكان و الحدث في الرواية.....71

3) نـــــقد الرواية.....75

4) خـــــاتمة.....79

5) قائمة مصادر والمراجع.....82-88

6) الفهرس.

ملخص

إن مقاومة الاحتلال قديمة قدم البشر ، فقد سجّل التاريخ البشريّ العديد من حالات اعتداء شعوب على أخرى احتلالا لأرضها و قهرا لسكانها،فما كان من هذه الشعوب إلا أن تتمسك بحقها في الدفاع عن نفسها و الذود عن أرضها وعرضها .

فكانت المقاومة هي النتيجة المنطقية لذلك،و إن تعددت صور أشكالها ، و تنوّعت طرقها و أساليبها ووسائلها و أدواتها . و كان من بينها المقاومة الثقافيةالابداعية .وصورة المقاومة الفلسطينية نستشفها في رواية (رجال في الشمس) لغسان كنفاني ، حيث أنها عبّرت عن تفاصيل المشقة و النضال من قبل ثلاثة رجال من فلسطين،الذين يسعون جميعهم من أجل الحصول على حياة أفضل.

فمثّلت الصراعات الفردية و الحقائق القاسية لحياة العديد من أبناء الشعب الفلسطيني الذي اضطرّ للجوء إلى المنفى و هجر الوطن ، فجاءت روايته لتثبت الألم و المعاناة للرأي العام من خلال أطراف النزاع الثلاثة حول الرحلة إلى الحرية فأصبحت رحلتهم إلى الموت ...

Français

La lutte et la résistance fac à la colonisation est très ancienne, elle date depuis la nuit des temps . l'histoire humaine a marqué plusieurs cas d'harcellement et de soumission des peuples , ces derniers s'accrochaient à leur droit d'affronter tout ennemi , de s'auto-protéger ainsi que de protéger leur terre et leur honneur .

La lutte restait toujours le résultat légitime de cet acte bien que ses formes ,sesméthodes , ses matériels et ses outils différent ; entre-autre << la lutte culturelle inventive >>.La lutte palestinienne paraît claire dans le roman : <<ilommes au sobil>>de **GhassaneKanafani** qui traduisait clairement et dans le détail la résistance pénible de troishommes palestiniens cherchant à avoir une vie meilleure-le roman représente les conflits individuelles et les vérités affligeantes de beaucoup de citoyens palestiniens optant pour l'exil ou l'émigration .il est venu affirmer et confirme à l'opinion publique la douleur et la souffrance à travers les trois pôles contraints autour du voyage vers la liberté transformé en voyage vers la morte ...

English

Colonization resistent is as old as homanutyexistancethus, human history recorded a lot of viotation cases formacomonutyupon arother occupying its lands and oppressing her cutuzens , and there wa nothing to do but defending there rights and proteat their lards . however , resistance was a logical result , wothonadifferent sorts and forms , ways and methods , techniques , and tools it was a monit culture resustance .morever , the phalastanaiaresistance cand befaund in " Meninsunnouel " la **GhassaneKanafani there** for it doscribeses Fighting and Hardshopdetarls from three men from philistine who want for . better life These individual stroggles and hard facts of philistine people with colonists lead then to immugration and leave the country ,so , thus novel expresses pain and crucifing from these men just for freedom , whuch lead them to dead ....